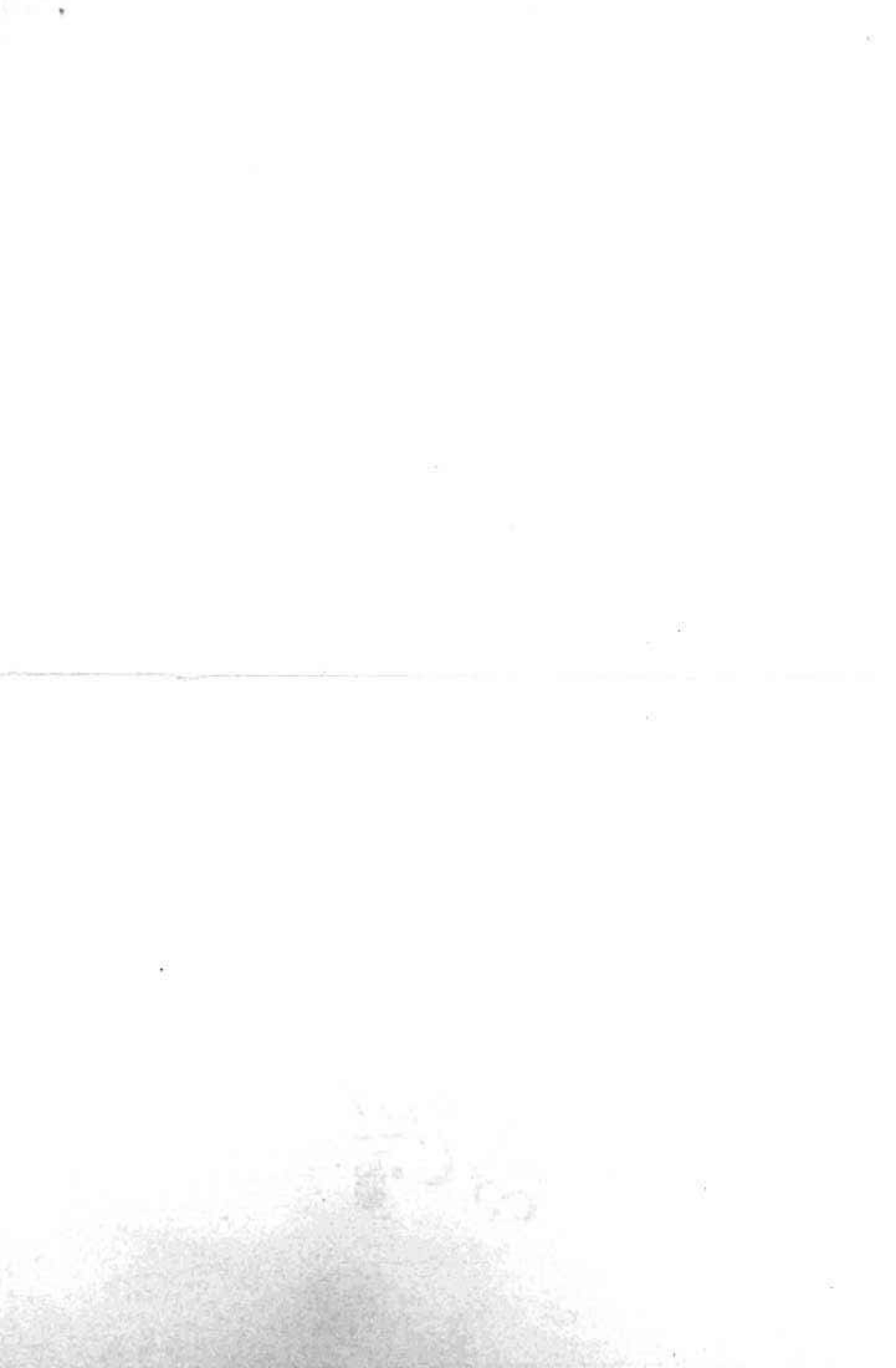

محمد هادي السعيدي

مهدي

الإمام علي عليه السلام ومدرسة القرآن

مكتبة الروضة الحيدرية
الروضة ٢٦,٣٢
تاريخ ٩١-٠٩٣
٤٨٥

الجزء الثاني

مطبعة الآداب ـ النجف الاشرف

محمد هادي اليعربي

الإمام علي (عليه السلام) ومدرسة القرآن

الجزء الاول

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف تلفون ٣٢٠٩٧

مصور
٦٦٩

الإمام علي (عليه السلام) ومدرسة القرآن

تأليف

محمد هادي اليعربي

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٦٣٥٨٠
التاريخ ١٤/٧/٩٧
٤٨٥

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

مطبعة النعمان - النجف الشرف تلفون ٣٣٢٠٩٧

النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــداء

« الرحمن علم القرآن خلق الأنسان علمه ألبيان » .

إليك أيها الأنسان يا أمير البيان وحليف القرآن .

إليك يا أبا الحسين (ع) .

يا من شرب الآيات وأدرك إعجازها .

يا من كتب كتاب الله وتذوق بلاغته وجماله ونطق به خطيباً .

ارفع هذه الدراسة ـ القرآنية . . فان قبلت قبل ما سواها وإن ردّت ردَ ما سواها .

وهذه بضاعتي بين يدي ـ مولاي علي البيان وعلي : هو عليّ : في بطولته .

وهو علي بطل من ابطال البيان العربي ومعجزة من معاجز المدرسة القرآنية . إنه ذلك الأنسان الذي علم القرآن وانطبع على قلبه وفي لسانه ـ إنه علي (ع) . في بلاغته . ونهجه وقرآنه : إنه علي (ع) . .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

نحن . في رحاب مدرسة القرآن لنتعرّف على آثارها الفكرية ـ وجميعاً . . نحاول قراءة هذه الآثار والنجاحات التربوية في صياغة الفرد المسلم عقلاً وروحاً وكيف تغذى وأخذ غذاءه من مدرسته ؟ . وكيف تفاعل مع هـذه الآيات القرآنية عقائدياً ؟ !

ذلك الانسان الذي آمن بالرسالة ودان بها فتذوّق طعم السعادة لأنه نشأ في ظلال هـذه المدرسة وتربى في أطار فكري . إنه حديث القرآن ! ومدرسة الخلق الرفيع ـ ويكفيه إعجازاً أنه أحدث حركة فكرية سريعة غيرت الواقع واخذت بالأنسان إلى الأفضل فغسلت الاذهان من رواسب الجاهلية ـ إنها مدرسة الحياة ـ ؟

وهي التي بدأت بأول خطوة من خطواتها . ان غيرت الواقع المتخلف وفتحت نافذة الأمل فكانت اشراقة ملتهبة في الأرض

فاشارت لذلك الأنسان « من هنا المنطلق » . !

ورسمت في الطريق خطوطاً ودلالات وقل : ملأت الاجواء ذبذبات متتالية ووضعت النقاط . ونادى القرآن وبصراحة « الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » وأخرجهم . بل وتحرر ذلك الأنسان من عبادة الصخور وتربى بمدرسة القرآن وتهذب وتفتح للحياة وبدأ ذلك الأنسان يردد نشيده تلك الآيات ويتأمل أبعادها اللا محدودة .

وكان من آثارها وجود السلوكية المستقيمة المؤمنة والنظرة الصادقة والوفاء والرحمة في ذلك القلب المؤمن . .

ويصح القول ان من آثارها صياغة شخصيات مسلمة تحمل الوعي الاسلامي والافكار القرآنية لأن المدرسة جاءت لذلك وغلغلت الاخلاق وهذبت النفوس . ويكفي القرآن إعجازاً ! انه خلق ذهنية جديدة ومفاهيم لم تكن من قبل فكانت . وانطبعت آياته في تلك الذهنية الطاهرة التي تغذت بفلسفة القرآن ولا نصدق هذا وذاك . إلا إذا تعرفنا على المستوى الفكري الذي كان عليه الفرد قبل القرآن . او كانت عليه هذه الأمة قبل نزول القرآن وكيف ارتقت إلى مستوى أفضل !

وتأثر ذلك الانسان بأشعة القرآن . وتذوق آياته وقرأ

فصوله وتدارسه واستفاد منه وكان خريج هـذه المدرسة رجل اذاعلم وعقيدة وخلق ووعي . وفي طليعة اولئك الأفذاذ ـ علي . !

ولا نغالي لو قلنا : ان علياً والقرآن في خط واحد وهو الذي استفاد من مدرسة القرآن أكثر من غيره .

ونحاول في دراستنا هذه معرفة هذه الصلة بين علي والقرآن وعندها نتساءل . جميعاً من هو ذلك الانسان الذي ترعرع في هذه المدرسة . التي اثبتت وجودها وعطاءها ؟

من هو ذلك الانسان ؟

أهو علي ؟ ثم نصل إلى نتيجة ان علياً مع القرآن . وأخذ من القرآن أكثر من غيره وتحدث عن القرآن نصاً ومضموناً . وتوضيحاً لآياته . فكان علي مع القرآن وكان القرآن مع علي يدور معه إينما دار .

وهذا لايفارق هذا منذ الولادة . . لأنه علي ! ولأنّ كتابه هو القرآن !

هذا حديثنا عن علي بين يديك . . والحديث عن علي تهواه النفوس ولعلي أجد فيك قارئاً ذكياً لأقدم له هذا الحديث : والله هو الموفق .

حررّه يوم الجمعة نعمة هادي موسى الساعدي
السابع من ذي القعدة عام ١٣٩٧ هـ

١ ـ علي : والقرآن : لا يفترقان . . ولن يفترقا . . قولاً وعملاً .

قرأت سيرة علي ورجعت إلى كتاب الله فوجدت علياً يسير في خطٍ قرآني لم يشذ علي عنه في يوم . . ودرست ما ورد عنه من كلام . وإجابات ورسائل وكلمة قصيرة وخطبة بليغة فاذا علي والقرآن « هو هو » في لسانه لغةً واسلوباً فآمنت بالحديث « علي مع القرآن والقرآن مع علي » (١) .

ووجدت القرآن عند علي .

ووجدت علياً هو القرآن والقرآن هو علي في آياته فكل ما روي عنه من كلام إذا لم يكن ذو صاية بكتاب الله ، فهو ليس لعلي ! وذلك هو البرهان . وكلام علي يقترب إلى كتاب الله

(١) نحن بين يدي الأمام علي لنقرأ سيرته وحياته وتراثه . وما تركه للأجيال . فقد خلف علي من بعده الكلمة الحلوة . والنصيحة المفيدة ـ ويختلف علي عن غيره من الذين حكموا في الارض وخلفوا البيضاء والصفراء . ـ وماتوا ـ ولكن علياً من الخالدين ـ فنجده في وصاياه ونصائحه .

كثيراً وبين هذا وذاك « وجه شبه » ولذلك أسباب قد ندركها ونعرف أسرار هذا التشابه والاقتراب . وعندها نتذوق كلام علي ونحكم عليه بحكم يختلف عن غيره (١) .

ونقول بأن كلام علي ذو مسحة قرآنية وهو قبس من اشعة القرآن .

او قل انه خريج مدرسة القرآن لغةً واسلوباً ودراية ورواية (٢) والقرآن مدرسة هذبت الطباع وخلقت الرجل المسلم الذي

(١) قد نقرأ كلام علي وكلام غيره ـ ونستطيع تمييز هذا الكلام عن غيره ، لأن كلام علي يدل على إنه لعلي ـ وإذا قلت لك ان علياً يختفي وراء كلامه ـ ماذا تدرك وماذا يحكي لنا كلام علي أي شخصية هو ؟؟ « وقليل منها تظهر فيه شخصية حلوة جذابة شديدة الايمان بالدين والاقناع بالحق ، حريصة على ما ترى من رأي» المجمل في تاريخ الادب العربي ص٧٩ ط الامرية بالقاهرة تأليف الاساتذة طه حسين ـ احمد أمين ـ علي الجارم .

(٢) وعلي (ع) عرف لغة أمته وعرف أذواق مستمعيه وراعي المقام والمناسبة والمطلوب ، فخطب وكتب بلغة قرآنية إزدهرت . وبعقلية تطورت ـ وكان عصره عصر ازدهار اللغـــة . وعصرنا عصر انحطاط اللغة وموت الأذواق ـ فلم ندرك كلام علي وبلاغته .

يعيش الافكار القرآنية . .

اوقل إن علياً درس القرآن واستفاد منه اكثر من غيره . والقرآن إشعاعة . وكلما اقترب إليه الذهن إزداد وحياً وغذاءاً روحياً . وعلي كذلك وإذا علي هو القرآن ، والقرآن هو . . في الفكرة والأسلوب . . . . لأن القرآن مدرسته .

وإذا علي ذو صلة وارتباط به وذو قدرة بيانية . واكثر من غيره على محاكاة ومجاراة كتاب الله والأستفادة منه في استعمال الكلمة القرآنية ووضعها في موضع جديد واستعمال ـ علوي ـ « بليـــغ » وإذا بالبلاغة القرآنية تتجسد على لسان علي (١) . وإذا بالأستعمال الذي سحر الصحابة وغيرهم فأخذوا عنه الكثير ورووا عنه هذا الكلام العربي القرآني لغةً واستعمالاً إنه كلام علي .

وكلام علي الدال على كلام الله وبعد كلام الله ، وتفسير له لأن عليـاً منـذ أيامه الأولى (٢) نطق بما يشبه القرآن وقال

(١) عشقت في علي ثلاث بيانه الرفيع ـ وصراحته الواضحة وبطولته في كل شيء ـ في القول والميدان ـ والعبادة والسياسة ـ والحركات الاجتماعية ـ إنه قائد وإنه أمير وإنه امام .

(٢) لأنه صحب استاذ الأمة وابلغ العرب والصحبة ذات

وقوله هو القرآن .

وهـذا لأنه تخرج والقرآن منطقه وبه وعنه ينطلق قائـلا وخطيباً في عصر القرآن عصر نزوله وتلاوته وعصر القرآن هو عصر إزدهار اللغـة فكأنه يقول بما يشبه القرآن أو يضع الكلمة القرآنية في حديثه (١) .

إذن قد تطالبني عزيزي القاريء بالأدلة ـ لبيان وجوه الشبه بين كلام علي والقرآن .

كيف وعلي سيد القراء !

وأول الحفاظ لكتاب الله قرأه قبـل ان يتلوه غيره من

أثر في النفوس . وعلى رياه ولازمه واجتباه من أول عمره واعدّه إعداداً وتكاملت نفسية علي في جوّ عقائدي من اللغة الخاصة التي أوحي بها إلى الرسول وبها كان يخاطب علياً ولعله صرح الرسول ان الله خاطبني ليـلة المعراج باللغة التي يتكلم بهـا علي . إنهـا لغة القرآن .

(١) وهبه الله موهبة وهو الكلام الساحر فاذا خطب أخـذ بعقل السامع وملك عليه احساسه وهذه من صفات الامام ، ورد عن الباقر(ع)ان الأمام يكلم الناس بكل لسان ولغة بحر المعارف ص ٤١٥ .

المسلمين . . ولعلي أكثر من صلة بهذا القرآن فهو الذي اختاره الرسول كاتباً له وهو الذي كان يصغي ويسمع ويحفظ ، ولأنه اقرب من غيره إلى ابن عمه الرسول (ص) . فأخـذه عن لسان سيد المرسلين .

وعلى وعي القرآن أكثر من غيره او قبل غيره من الصحابة .

وفقه الله بدعاء الرسول (١) فكان هو الاذن الواعية ـ وهو كذلك . حقاً .

ـ جاء في روضة الواعضين للنيسابوري ص ١٠٥ .

(١) ورد ان الرسول دعا لعلي اكـثر من مرة أيام الحرب وأيام السـلم . يقول ابن ميثم البحراني ولا شـك في استجابة دعائه (ص) .

ـ فقد ورد عنه (ص) في حقه (ع) « اللهم أدر الحق مع علي (ع) حيث دار » ودعا له أيام صباه لمـا بعثه إلى اليمن داعياً إلى الاسلام ـ كما ذكر النسائي في الخصائص ـ قال بعثني رسول الله (ص) إلى اليمن وأنا شاب حدث السن قال فقلت تبعثني الى قوم يكون بينهم أحداث وأنا شاب حدث السن قال إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك قال ماشككت في حديث اقضي بين اثنين .

قال ابن عباس وتعيها اذن واعية علي بن أبي طالب قال رسول الله اني سألت ربي ان يجعلها اذنك يا علي اللهم اجعلها أذناً واعية أذن علي ففعل . .

وإذا علي والقرآن في ميزان عربي .

وإذا علي هو الخطيب وهو المتكلم .

خطب وسحر مستمعيه واجاب وكتب وقال قولاً قرآنياً جميلاً وشابه الآيات القرآنية بأكثر من وجه .

والوجه البياني في قول علي من حيث صياغة الكلمة ووضعها والاستشهاد بالآية في موضع مناسب (١) وتكوين الجملة وبناء الاجابة من غير إعداد وتأخير ـ كل ذلك هو الطابع الذي رأيناه في مدرسة علي البلاغية ـ وهو الطابع القرآني . في الكلمة . والجملة والوضع والاستعمال (٢) والفكرة . والصياغة ـ

(١) من اين أخذ علي ذلك واين تعلم علي واصبح بهذا المستوي في الخطابة . فهو القدير ولا ينكر احد قدرته وقوته واداءه والسرعة وسيطرته على السامع . يملك السامع . فقد لا يحس بما حوله ومن اين لعلي ذلك ؟ إنه أخذ عن الرسول وتأثر ببلاغته .

(٢) وإذا قرأنا له . أدركنا نفس علي . وكأننا نحس به عن قرب وكأنه لم يمت . ونسمع رنين صوته في كل كلمة من

والجمال وما علي والقرآن إلا في خط واحد ونحو هدف مقصود والهدف القرآني توضيح آيات الله للأنسان ، وإذا أدركها واطمأن بها آمن وعاش في هذه الحياة مؤمناً واعترف بالله وبالقرآن وادرك صدق الرسالة .

وكلام علي بيان ـ وتفسير . .

وشواهد ـ وموضحات لما في كتاب الله . من مجملات ورموز ومنبهات ذهنية لعقلية الأنسان .

وكلام علي وليد عصر قرآني (١) وقد قيل عنه : عصر إزدهار اللغة وعصر قوتها ـ ونموّها . وتطوّرها في آفاق قرآنية

كلماته وفي كل خطبة من خطبه ـ لأنه علي ! وسوف تدرسه الاجيال ويقترب اليه الواعون كلما أدركوا ودرسوا آثاره وآمنوا به إنه سيد العظماء ـ لن يفترق عن القرآن ـ .

(١) فقد عرف عصره بطابع يختلف عن العصور الأخرى عرف بكثرة الخطباء والشعراء والافكار وكثرة الفتن والأنشطار المذهبي في صفوف الأمة ـ فأهل الشام واهل العراق . والبصريون والكوفيون ، والفرس ـ والعرب .

مشرقة (١) . وهو العصر الذي نزل فيه كتـاب الله وكتـاب الله . لغة . ودلالة . وإشراقة في طريق هذا الأنسان وهو العصر الذي تفتحت فيه ذهنية الأنسان المسلم بنور آيات الله ـ فتسابق . إليـه واقترب إليـه ينهل منه ويصدر عنه وينطق بـه لأنه هو الكتاب ، ولأنه نشيد السماء في الارض ! وهوالانسان الذي استفاد من كتاب الله قبل غيره ، من هو ذلك الانسان بحق ؟ نقول . إنه علي (٢) الذي يشكل مدرسة قرآنية من حيث اللغة . .

ومن حيث البلاغة .

(١) وكلام علي هو كـلام الانسان العربي حقاً . وجدناه عربيـاً خالياً من التكلف . وجـدناه اقرب الى عصر القرآن . وجدنا فيه البلاغة العربية الأصيلة فكان على علماء البلاغة ان يأخذوه شاهداً لهم في الفصول البلاغية ويدرسوه لانه اقدم من غيره ولكنه أخذوا كلام غيره واعتبروه شاهداً !

(٢) وقد تسأل كم كانت خطب ورسائله . ما ضبط وروي أقل بكثير من المفقود الضائع والذي لم يصل الينا . يقول المـسعودي «والذي حفظ الناس عنه» من خطبه في سائر مقاماته اربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة تداول عنه النـاس ذلك قولا وعملا » تاريخ المسعودي ج ٢ ص ٤٣١ .

ومن حيث الاسلوب .

وبحق نقول إنه عليّ . تأثر بمدرسة القرآن اكثر من غيره ـ وأخذ من القرآن كل كلمة ورّصع بها رسائـله وكلماته وكان هو العلم المفرد في عصره من حيث البلاغة القرآنية ودراسة علي في خطبه وكلماته (١) إنما هي دراسة عربيـة قرآنية ودراسة العصر الذي عاشه علي وصلته بعصر القرآن ونزوله . هو العصر العربي الزاهر كما صوره علي وأرخه بما فيه من أحداث فكرية وافكار نشطت في المحيط الاسلامي وكان علي هو البطل في قوله وبيانه ـ .

ودراسة علي دراسة للصلة بين علي وعصره . وبين علي والقرآن بلاغةً وبين علي والاحداث الفكرية ودراسة العصر الذي تكلم فيه علي وبين علي ومجتمعه قرابة (٢) شأنه المصلحين للمجتمعات .

(١) فليس في المسلمين عامة ولا في العرب من يماثل علياً . وحتى في الخلفاء فكيف اصبح علي بهذا المستوى ؟

الجواب فقـد اجتمع في علي ـ النفس والـذهنية والبـديهة والفطرة والاستعداد والملازمة ـ والاحاطة بالأي القرآني كـل هذه العوامل خلقت منه خطيباً ومكنته على القول البليغ .

(٢) وهناك تناسب واتصال بين كلام علي والفترة التي عاشها

الذين يحاولون رفع ذلك المجتمع إلى المستوى اللائق . ـ

وكلام علي وليد احداث وتيارات وكان علي هو لولب الحركات وتطوّر عقلية المجتمع الذي عاش فيه وتكلم ولعب دوره في الارشاد والتوجيه .

ومن ذلك . رأينا بين كلامه (ع) والعصر والمجتمع والعقلية صلة (١) . .

والعصر الذي عاشه علي مليء بالاحداث (٢) والحركات والتموجات والتيارات والتطورات وحتى الاحداث التي مرت على ذلك المجتمع . وما نبغ فيه من ذوات كان لها أثرها في اقلاق الأمة ـ ولو عرضنا كلام علي وعصره لوجدنا بينها صلة لأنه وليد عصره وبالعكس لو عرضنا كلام علي والعصور الاخرى اللاحقة لوجدنا التباين الواضح .

(١) وهذا ما ذكره مؤرخوا الادب بين الاديب وعصره صلة مباشرة . وعلاقة بين الادب والحياة العامة . من حيث التطور والازدهار والتأخر فالادب تابع للحياة . ووليد احداث وتفاعلات اجتماعية .

(٢) والحوادث المحلية التي حدثت في المحيط الاسلامي ـ الواسع ـ من بداية الدعوة إلى زمن خلافته ـ كلها . ذكرت

الفكرية والنشاطات والتيارات وحصل له من أسباب التطور والانفتاح واللقاء والاتصال العالم الخارجي (١) والتفاعل مع غيره من العقليات . في الجدل . وكان القرآن هو المرجع فتطوّر . بما جدّ فيه وما حدث وكثر فيه الفقهاء وحملة الحديث النبوي الشريف وانتشر الصحابة وتكونت الحلقات وملئت المساجد بالقرّاء . .

وفيه جمع القرآن وتعددت القراءات واضطر المسلمون بالرجوع الى القرآن والحديث . وفيه كثر الرواة . وفيه بدأ الاختلاف في الرواية وفي الاجتهاد في الشريعة .

وتوسع المحيط لاسلامي وزحفت عناصر غير عربية للاستيطان فيه .

وكانت المساجد مقرّاً لهذه الافكار ولهذه الاجتماعات (٢)

في كلام علي فقد أرخ تلك الاحداث التي حدثت وكلامه (ع) . فيه الجانب التاريخي لكل ما حدث . بصورة موجزة .

(١) وكان بين علي وقيصر وغيره مراسلات وإرسال رسل إلى الملوك كما وفدت إليه وفود من خارج المحيط الاسلامي واستقبل تلك الوفود من خارج البلد الاسلامي .

(٢) وتعددت الحلقات وكثر المتحدثون . وبرز ابن عباس .

وبرزت مذاهب جديدة . من الكوفة والبصرة وبدأت العقلية الاسلامية تتفلسف في كل مسألة ـ وتأخذ مساراً فلسفياً وبدأ الرد والجدل والتعليل والاستدلال هو الطوفان . وهو الذي تقتل فيه اوقات الفراغ . وازدهر العصر ونمت فيه أفكار خاطئة ومصيبة .

وفي هذا العصر . قال علي وخطب واجاب عن أكثر من سؤال ومسألة في اللغة والقرآن . وفي الشريعة . وفي الحياة العامة (١) . .

وكل ما صدر له وما روي عنه هو في ظلال القرآن ومع القرآن . فهو قرآني في نهجه ومنطقه وسيرته ونشأ ابو الحسين

في التفسير وهو سيد المفسرين وما أخذه عن علي في حياته اكثر مما أخذه عن الرسول لكن الظروف والأحداث الجأته إلى الرواية عن الرسول فقد ثبت ان ابن عباس أدرك عشر سنين من حياة الرسول وما رواه وورد عنه اكثر واوسع فهو تلميذ علي .

(١) وهذا ما قام به ابن أبي الحديد في دراسته لكلام علي فقد أخذ الجانب التاريخي . ودرس الحياة العامة . والظروف والاحداث . وربط بين كلام علي وبين تلك الحوادث التي حدثت ، ومعرفة أسبابها وابطالها . وآثارها وابعادها . وابتعد عن الجانب العلمي الذي في كلام علي . وقد يفر منه فراراً او يعتذر . وقد يصرح بعجزه ! !

وترعرع في عصر القرآن وهو عصر نزول الآية بعد الآية . والسورة تعقب الاخرى : فلا تعجب إذا قال معلناً للملأ . بأنه العالم بالقرآن وآياته .

قال ذلك والسامعون لقوله هم القراء والصحابة (١) بمشهد ومسمع وعلي يرفع صوته « كل آية نزلت أنا أعرف بنزولها وسببها . ويكرر هذا وغيره في اكثر من مجلس وحشد هل سمعت أحداً قام اليه يردّه او يدعي الاعلمية عليه بالقرآن (٢) ؟ ذلك هو أبو حسن (ع) الذي ولد ونشأ وتغذّى وصغى واستمع واخذ . فهو علي البيان . الذي بدأ بفجر الدعوة ونما بعصر القرآن وقال وخطب والصحابة رواة حديثة ! !

---

(١) وزمان علي مدرسة فكرية واسعة فكان أبو الاسود رئيس مدرسة النحو العربي . وهو يشكل الطبقة الاولى من سلسلة النحاة . وكل النحاة رجعوا اليه في نشأة النحو . وعن علي أخذ . وروى . . . .

(٢) وهل سمعت بعلي (ع) خطب وأرتج عليه او خطب ومسك بيده كتاباً او دوّن ما اراد ان يقول ؟

وهل ورد عن علي (ع) سئل وأخرّ الجواب لغد ؟ ؟

ـ علي والصحابة ـ

وعلي (ع) يختلف عن غيره من الصحابة (١) والحفاظ والقراء وحمـلة الحديث فالاستعداد النفسي والصفاء والقابلية الذهنية والرغبة للأخذ من فيض النبوة والملازمة التي لا تنقطع والملازمـة لذات الرسالة والتـلاوة للآي القرآني والرجوع إلى الرسول مـتوضحاً أسرار القرآن وما فيه من معاجز ورعايـة الرسول وبلاغته كل هذه عوامل كان لها الاثر في صياغة شخصية علي (ع) ونمو ثقافـته (٢) . بهـذا المـستوى الذي لم يحصل عليه غيره . لان المحيط الـذي ولد فيه علي (ع) وعاش فيه

(١) علي (ع) بحق استاذ الصحابة والتابعين ـ فكان هو المرجع لهم لانه عرفوه . . حق معرفته ـ .

(٢) فقد ارتحل علي (ع) وخلف تراثاً عربياً بليغاً . ونتاجاً علميـاً مقبولاً تهواه النفوس ويقبل عليه رواد الكلمـة والفكر وانصار الحرف . رغم قصر أيامه ورغم الحوادث والمشاكل والفتن والمعوقات والمشاغل فقد انتج علي (ع) تراثاً كثيراً في العلم والادب . والخطبة والرسالة والجواب . .

هو المحيط القرآني والمدرسة التي أخذ منها هي مدرسة النبوة ـ ويعلن علي (ع) : « علمني رسول الله » أنا أخ رسول الله » ووارث علمه » . إنه علي ! (ع) .

علي (ع) ومدرسة النبوة

ومدرسة النبوة ورعاية الرسول لعلي (ع) كان لهـا أثرها في بناء هذه الذات وإخراجها للوجود (١) .

ولعله كان يتركـه ليقول ويتحدّث أو يقض أو يجيب وهو يرعاه ويسـدده منذ طفولته أو يأمر الناس بالرجوع اليه وهو على قيد الحياة . . أو يبعثه داعياً للأسلام أو يخلفه إذا غاب عن المدينة أومكة كما فعل امراراً او ينزله إلى ساحة القتال وهوالذي يقلده ويشدّ قواه ويملأ نفسه ليندفع في ملاقاة ابطال العرب (٢) .

(١) ذات علي (ع) ـ ومواهبه ـ وقدراته . واستعداده العقلي وسوف تبقى الافكار في بحث في تفسير ذلك وهي قاصرة في فهم هذه الذات . وافكاره وإحاطته الواسعة ـ من اين لعلي (ع) هذه المعلومات وهي لم تكن في عصره قطعاً ولكنه نطق بهـا ؟ إنها من مدرسة النبوة .

(٢) الرسول اختار علياً (ع) لشؤونه العامـة والخاصة لم يشرك أحداً معه فأختاره كاتباً وحاملاً أسراره وهو الذي كتب صحيفة المعاهدة ـ الهدنة بينه وبين قريش . ومنح علياً مناصب

هذا علي (ع) . وتلك مدرسة النبوة وقد كان يتكلم والرسول يستمع له . « عن جابر بن عبد الله قال سمعت علياً (ع) ينشد ورسول الله يسمع شعراً (١) .

أنا أخو المصطفى لاشك في نسبي
معه وبيت وسبطاه هما ولدي
جدي وجد رسول الله منفرد
وفاطمة زوجي لا قول ذي فندِ
صدقته وجميع الناس في بهم
عن الضلالة والاشراك ذي الكندِ
فالحمد لله حمداً لا شريك له
البرّ بالعبدِ والباقي بلا أمدِ

كثيرة في حياته السياسية والدينية والمنصب العلمي والعسكري - والقضائي .

(١) نصب ديوان شعر لعلي (ع) - وبحث ذلك في كتاب الذريعة الجزء التاسع وذكر له أبيات في كتب الادب والتاريخ - وهنا خلاف في صحة الديوان وعن كمية الشعر المروى لعلي (ع) وقوته وبلاغته وروعته ! !

قال وتبسم رسول الله وقال صدقت يا علي » (١) . وكان نتيجة هذه الرعاية وأثر تلك المدرسة . . ان علياً هو الخطيب البليغ وهو العالم بأسرار الشريعة .

وإذا علي (ع) يقول قولاً جميلاً ويخطب بالروائع (٢) فقد وجدنا في كلامه مسحة قرآنية وقدرة فنية لم نجدها في كلام غيره - وجدنا عنصرين في كلام علي العاطفة والعقل .

ووجدنا التجربة . ووجدنا في كلامه ألماً . ووجدنا في كلامه هدفاً وقصداً انسانياً : توعية الأمة وتقديم الارشاد لها . لتسلك طريقها وسراطها ووجدنا في كلام علي (ع) أكثر من قصد وجدنا خدمة الفرد ودعوته الى الخلق والاخذ بكتاب الله سبحانه . والسير على هداه ووجدنا في كلام علي (ع) وجوه

---

(١) كنز الفوائد للكراجكي ص ١٣٢ .

(٢) في خطب علي روائع جمعت بين العلم والأدب . وإذا كان العرب في الجاهلية اختاروا من اشعارهم احسنها وأقواها وعلقوها - فما هي المعلقات في العصر الأسلامي ليعلقها المسلمون . فلو علق البلاغيون هذه الروائع من خطب !! علي (ع) لتقرأها الدنيا ويقارنو بينها وبين غيرها ويعرفوا من هو علي (ع) .

شبه (١) بالفصول القرآنية وقرباً سبقاً . وكان علي (ع) هو السبّاق إلى شريعة الكتاب والناطق بمفرداته قبل غير ولم يتكلم علي (ع) بلغة جديدة غير اللغة العربية ولم ينطق بألفاظ جديدة غير مألوفة أو متداولة أو شائعة في المحيط الاسلامي ولم يستورد له كلاماً غير الكلام العربي أو أسلوباً مبتكراً غير ما جاء في كتاب الله لغة واسلوباً . وهي اللغة التي تكلم بها وخطبت ولكنه أضاف إلى كلماته القرآنية وبلاغته روعة وجمالا . .

خطب علي (ع) وفي المجتمع الأسلامي خطباء (٢) وفي

(١) لو جمعنا فصولاً من كلام علي (ع) ودرسناه بذوق عربي لأدركنا وجوه الشبه بالقرآن . فكلام علي يشبه القرآن بوجه أو اكثر . اذن ما هي وجوه الشبه بين كلام علي (ع) والآي القرآني ؟ تلك الوجوه أدركها البلاغيون الذي شرحوا كلام علي (ع) لغوياً وبلاغياً

(٢) واشهر الخطباء في عهد علي (ع) هم حجر بن عدي له خطبة ذكرها ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٨٢ ـ عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي له خطبة ذكرها ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٨٠ عمرو بن الحمق الخزاعي له خطبة ذكرها ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٨١ وعدي بن حاتم الطائي له خطبة ذكرها في

كل مسجد خطيب وصحابي ولكنه نبغ . ببطولته وصولته . بما نطق به اكثر مما نطق به غيره من العرب والخطباء وبلغاء المسلمين . بذلك اصبح علي (ع) يملك هذه الشهرة . وقيل « عنه علي (ع) بليغ العرب والمسلمين » يمثل بلاغة القرآن في بيانه (١) .

ونستطيع القول . بأن علياً زميل القرآن فاذا تكلم فكلامه القرآن وإذا احتج فدليله القرآن واذا وضع شاهداً فالآية القرآنية شاهده .

لأنه احبّ القرآن وعشقه منذ طفولته وتأثر به أكثر من غيره من الصحابة فاذا صح القول ان علياً كان يتغنى . فأغنيته

ج ٣ ص ١٧٧ مالك الاشتر له خطبة ج ٣ ص ١٧٤ معقل بن قيس ج ٣ ص ١٧٥ وقيس بن سعد بن عبادة له خطبة ج ٣ ص ١٧٢ والاحنف بن قيس . وجعدة بن هبير المخزومي .

(١) وبيان علي (ع) اتعب كثير من العلماء في تأويل كلامه . ولعل أول دراسة لغوية لعلي (ع) ما قال به العلامة الراوندي . فقد شرح كلام علي (ع) وأخذ الجانب اللغوي . ونقده العلامة الشريف الرضى رغم إعتماده عليه كما استحسن كثيراً من آرائه وما ذهب اليه . .

القرآن (١) فكان يختار السور ويرفع صوته بها . ويحلو له ان يعلن صوته أمام الجيش حتى في الحروب وسوح القتال .

« إن النبي (ص) بعث . سرية واستعمل عليها علياً (ع) فلما رجعوا سألهم فقالوا : كل خير غير انه قرأ بنا في كل الصلوة بقل هو الله أحد . فقال (ص) يا علي (ع) لم فعلت هذا ؟ فقال : لحبى بقل هو الله أحد فقال النبي (ص) ما اجببتها حتى أحبك الله » (٢) . وبقي علي (ع) يستوحي كلماته وبلاغته وقوله وجمال بيانه من القرآن وظل مع القرآن .

(١) ماذا يراد بالأغنية الدينية التي تردد على السنة الشباب اليوم ؟ وهل هناك أغنية دينية مباحة يجوز التغني بها ؟ ! هذا مصطلح جديد شاع الآن يطلق ويراد به المدائح النبوية والتراتيل . وقد يراد المناجات في السحر . أو الأذان أو الهتاف بالمؤمنين . أو يراد به الصلوات بصوته مرتفع ! !

(٢) الوسائل ج ٤ ص ٧٤٠ كتاب الصلوة ـ وجاء في بحر المعارف ص ٤١٨ عن أخطب خوارزم عن ابن عباس عن النبي (ص) يا علي (ع) ما مثلك في الناس إلا كمثل قل هو الله أحد في القرآن . .

آ ـ وكان علي (ع) يدور في فلك القرآن وحول دائرته يجاريه في صياغته وسبك العبارة ويحاول الأخذ من فصوله ليوضح دلالته لغيره .

فأدرك فيه الناس ما لم يكن في غيره من بلغاء الصدر الأسلامي وإذا بعلي (ع) يملك قدرة في الأداء ومقتضيات المناسبة ـ وهو البليغ الذي ظهر في عصر القرآن وفي عصر البلغاء وفي عصر القراءة والقراء ـ وإذا هو الخريج الأول من مدرسة القرآن والذي صاغت شخصيته مدرسة محمد إنه علي عليه السلام . ! ! (١) .

ب ـ وكان علي (ع) في كل كلمة من كلماته وفي كل جملة . مع القرآن لم يشذ عنه ولم يستطع الباحثون إثبات ذلك الأبتعاد في كل ما روى عنه من كلام .

وهو الذي أعاد القرآن مرة أخرى وعلى لسان علي (ع) وبين ما كان مجملاً فيه .

(١) وكان لتلك الملازمة للرسول وذلك الاخلاص أثره فأصبح علي (ع) كما يريده الرسول . وهو الأمين على أسرار الدعوة حملها بأخلاص . وكان هو المطلع على أسرار الرسول وأداها بأخلاص وفيه قال الرسول علي (ع) قاضي ديني وديني » .

وقاتل من أجله . وقطع الأشواط من أجل الكتاب . وحاول تطبيقه ولكن !

وأعلن عمار . قاتلناهم على تنزيله .

واليوم نقاتلهم على تأويله (١) .

(١) « عن أبي سعيد الخدري قال كنا جلوساً ننتظر رسول الله فخرج الناقد إنقطع نعله فرمى بهـا ربه في الأصل » إلى علي رضي الله عنه فقال ان فيكم رجلا يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله قال أبو بكر أنا قال : لا . قال عمر أنا قال ا لا ولكن خاصف النعل » .

١ ـ خصائص أمير المؤمنين النسائي الحافظ أبي عبد الرحمن احمد بن شعيب .

وهو الذي روى عنه « إن ههنا لعلماً جماً لواجد له حملة » وما وجـد علي (ع) إلا نفر قليل ـ ! « وقال عليه السلام لو اخذت مائة قلوبهم كالذهب المصفى ثم اخذت من المائة عشرة ثم أخذت من العشرة واحداً ثم اختبرته ببعض ما عندي فاذن لقال علي (ع) اكذب العرب » بحر المعارف ص ٢١٣ الهمداني عبد الصمد عن الحدائق .

وفيه يقول الحسن البصري .

« اعطى للقرآن عزائمه فيما عليه وله فأحلّ حلاله وحرّم حرامه حتى أورده ذلك رياضاً مونقة وحدائق مغدقة » (١) .

ذاك علي (ع) بن أبي طالب ولو وجد علي ذهنية واعية ونفساً لفجر ينابيع القرآن وملأ الدنيا خيراً وهدياً ونوراً وكان القرآن داعياً . وكان هو الكتاب الأول والآخر الذي ترجع إليه البشرية وكان . . وكان . . . .

« بلاغة علي وصلتها بالقرآن »

جاء علي بأساليب بلاغية جديدة لم يعرفها الاقدمون من العرب ولم يصل إلى مستواه المتأخرون من خطباء المسلمين المشهورين وقد اوصل الخطابة إلى القمة من حيث الأفكار القرآنية وموسيقى الكلمة . والأبتداء والتمهيد إلى الهدف المقصود له .

وقد تطورت الخطابة ـ والقول البليغ ـ والرسالة ـ والكلمة ذات اللون الجديد ـ في عصر علي إلى مستوى قرآني . وهـذا من نهج علي (ع) فالشواهد والأخـذ والتفكير كلـه عن القرآن . . وفي القرآن .

وقد قرأنا لعلي . التشبيه والأستعارة . والكناية . والمجازات

(١) عبد الكريم الخطيب علي بن أبي طالب (ع) ص ٣٧٠ .

وكلها تدور في فصول من الكتاب .

وهذا من علي تطوير وابتكار وتجديد في البلاغة العربية ومن جاء من بعده (١) أخذ هذا الطريق البلاغي والتمس الأمثلة القرآنية خدمة للقرآن ومحاولة لفهم الأعجاز القرآني وخدمة للبلاغة العربية وبيان محاسن اللغة وجمال الكلام العربي القديم .

فقد سار علماء البلاغة على هذا النهج بما وضعوه من أبواب بلاغية وشواهد قرآنية . بليغة (٢) . ولكن هؤلاء لم

(١) لقد خدم علماء البلاغة اللغة . وقدّموا خدمات بما حققوه وجمعوه من أمثلة ووصفوه من أبواب جديدة واقتبسوه من امثلة وشواهد من الكلام العربي المأثور واستخرجوا ما فيه من واقع عربي كالعلامة البلاغي ـ الزجاجي ـ والسكاكي ـ وأبو عبيدة ـ والجاحظ .

(٢) وهؤلاء إنما صنفوا وبوّبوا فقط . ولم يخترعوا المجاز والحقيقة . والتشبيه والكناية . وإنما هو من وضع العرب واستعمالهم ولكن هؤلاء العلماء بوّبوا هذا الكلام المأثور وحاولوا تثبيت شواهد قرآنية . ولكن الخلاف بينهم وبين المفسرين في نقطة واحدة هل في القرآن مجازات أو لا يوجد مجاز قراني . واسناد مجازي أو هو حقيقي .

يرتجلوا شيئاً جديداً من عندياتهم وبنات أفكارهم . فالحقيقة موجودة في الكلام العربي والقرآن والمجاز كذلك والتشبيه والأستعارة والبديع ـ ولكن علماء البلاغة جمعوا تلك الأمثلة والشواهد ووضعوا لها أبواباً وفصلوها تفصيلا . .

وهذا عمل المتأخرين اللاحقين . أما عمل السابقين رجال الصدر الأول وخطباء العصر الأسلامي فان هؤلاء اعتبروا القرآن هو المادة التي جرت على السنتهم وانطبعت في أفكاروم وهو الشاهد لهم في كل مسألة . في اللغة والشريعة والواقع الاجتماعي . والقرآن خير مادة واقوى شاهد وأوضح دليل رجع اليه علماء المسلمين على اختلاف اتجاهاتهم وكان في طليعة هؤلاء ان لم نقل هو الأول هو . أبو حسن . فقد خطب كثيراً وفي كل خطبة (١) أكثر من آية قرآنية شاهداً على ما قال وما قصده

(١) والخطابة عند علي مدرسة مستقلة ونهج خاص به وفي زمان علي (ع) خطباء وكان قبله خطباء وجاء غيرهم ولكن نهج علي (ع) خاص له ولو قارنا بين هؤلاء وبين علي (ع) لرأينا علياً (ع) في القمة . ورأينا خطب علي (ع) تختلف كثيراً عن خطب الأخرين من حيث هيكل الخطبة والمقدمة والشاهد والنتيجة وجاء بعد خطباء وأقتدوا به وأخذوا طريقته ـ وخطب

وعند الرجوع إلى كلام علي (ع) وما ارتجله من خطب . لوجدنا البلاغة العربية بكل فصولها وأبوابها المدوّنة . كلها مطبوعة في هذا الكلام القرآني .

فهو الذي وضع أسس البلاغة قبل ان يصنف بها علماء البلاغة هذه المصنفات ويضعون لها هذه الأبواب (١) . وبهذا الأستقلال اللغوي الذي قرأناه .

ولكنّ علياً (ع) قبل كل هذه الأعمال وضع كل ذلك في خطبة وكلماته وفي خطب علي مادة أصيلة بلاغية عربيـــة وشواهد قرآنية تبرز قدرة هذا الانسان وإحاطته الواسعة ببلاغة القرآن ومعرفة اعجازه لأنه أقرب الناس إلى القرآن (٢) .

علي (ع) ذات مناسبة معينة وخطب علي (ع) ذات غاية ـ وتتلمذ على مدرسة علي كثير من الخطباء .

(١) ما قام به علماء البلاغة من خدمات مشكوره واليهم يرجع الفضل في بناء ونشأة هذا الفن العربي . خدمة قدّموها إلى اللغة من حيث هي لغة ـ واللغة العربية فيها من المحاسن والأسس والفضائل والجمال الخفي والأسرار قد يكتشفها الفكر العربي المعاصر ويبرزها للوجود .

(٢) وقـد وردت تصريحات عن علي (ع) تدل على إنه

أ ـ وفي كلام علي قدرة بلاغية واحاطة لغوية فمن قرأ كلام علي (ع) بذوق عربي وعلميـة واسعة أدرك من هو علي ! !

وما أرتجله علي من كلام وما ألقاه من خطب يصور لنـا اللغة العربية الأصيلة والبلاغة العربية في عصرها الأول في إزدهارها وقوتها ووجودها العربي الأسلامي وصلتها بالواقع العربي وصلتها بالقرآن . .

ب ـ وفي كلام علي (ع) صورة ثانية يرينا نضج البلاغة العربية في لسان الانسان العربي وإنها فطرية . ولدت بولادته وجرت على لسانه من غير تكلف وكسب فهو موجود وهي موجودة بوجوده وفي لسانه وفكره وذوقه وكيف كان الفرد العربي بليغاً لأنه عربي وكيف ارتفعت في عصر القرآن (١) وعصر إرتفاع

أوسع من غيره وأكثر علماً بالقرآن ـ » والذي عنده علم الكتاب » إلا بقدر ما تأخذه البعوضة بجناحيها من ماء البحر ! ! فكيف بمن أحاط بكل الكتاب . وعلم بآياته . وما فيها ؟ !

(١) وفي كلام علي (ع) صورة ثالثة . تدرك وعي هـذا الانسان بالواقع الاسلامي أكثر من غيره ـ فاذا قرأنا لعلي (ع) جملا . وفصولا عرفنا علياً (ع) هو الرجل المحيط بالشريعة . وإنه ذلك الرجل الذي صاغته إرادة محمد (ص). ومدرسة القرآن ـ

هذه الأمة إلى أوج عظمتها فكانت خير أمة (١) . أمة واحدة . بلغتها وأفكارها وأذواقها . وذهنيتها ـ وكلها ترجع الى القرآن إذا تنازعت في أمر من أمورها . وكان القرآن هو الشاهد وهو الدليل وهو هو .

وما قاله علي وما صدر عنه يعتبر موجهاً ومحفزاً للذهنية العربية نحو القرآن . لتأخذ منه وبه وكان لذلك أثره في نشر العلم وغلغلة

وإن علياً (ع) هو الفرد ـ ليس هنا ثانٍ يماثله ـ وحقاً لو كان ذلك الوعي عند غير علي (ع) لقتله العلم وضاق به ذرعاً ولما إستطاع إدراكه . اذن علي (ع) عالم عصره ، ليس كالعلماء الآخرين . فهو الذي وجدناه في العقلية العلمية .

(١) الأمة واللغة . والحياة العربية . مرت بعصرين . . مختلفة الازدهار والارتفاع ثم إنحدرت . الأمة واللغة نحو المنحدر والى الدرك . وأوشكت ان تموت الأمة بأفكارها وأذواقها . وحتى اللغة أوشكت ان تموت . للطوفان . الجديد الذي طغى وفاض واغرق الكلمة الأصيلة واكثر من ذلك فقد اقتربت الامة إلى الاحتظار والأفكار العربية كادت تنسخ واللسان تلوّث وتأثر بما مازجه وخالطه والذهنية مرت بمرحلة من الرقاد والانسان العربي بالوراثة والمحيط والتراث فقد وجوده وخسر كل مقومات حياته . .

مفاهيم القرآن في نفوس الأمة . وهذا من اعمال علي (ع) . يوم خطب وأجاب وكتب رسائله . أنا قانع ومعتقد ومؤمن بما قدّمه علي (ع) من قول وما صدر عنه كان له الفضل في خلق جيل قرآني جيل فاضل مثقف واعي . .

وأنا مقتنع مؤمن والدنيا كلها مؤمنة بأن علياً (ع) كان رجل علم وتوجيه يحمل القرآن في شفتيه ـ قبل ان يكون رجل حرب وكفاح وهو رجل قرآن قبل ان يكون رجل قتال وهو رجل اصلاح اجتماعي وتوعية قبل ان يكون رجل أقوال ورجلاً يرتجل الكلمات الرنانة والأمام علي (ع) قبل غيره من خطباء عصره اتخذ من القرآن شاهداً في كلامه . وبياناً ومنهجاً تحدث عنه كثيراً . في مدرسته .

ماذا أخذ علي من القرآن ؟

والامام علي (ع) أول من اقتبس القرآن وأدخله في نثره : في خطبه ورسائله وشواهده : وبعبارة أخرى هو أول من تأثر بالآي القرآني : وهو السباق لذلك والأول وليس علي (ع) وحده وإنما هناك صحابة كثيرون وخطباء عرفوا بالاقتباس وتطعيم

خطبهم بالآي القرآني ـ لجماله والحاجة اليه دليلاً وشاهداً ولكن السبّاق لذلك هو علي (ع) وبقي القرآن مدرسة أدبية يؤخذ منها تحلية للنص الأدبي في العصور الأدبية كلها (١) .

ونرجع لعلي : ونتساءل هل تأثر علي بالقرآن لغةً واسلوباً وشكلاً ومضموناً ونصاً ؟ أم تعدى ذلك أخذ واقتبس واستفاد وادخل الآية بما تحتويه في كلامه . القرآني في كلام علي عليه السلام ؟

أو نقول ان علياً من الحفاظ للقرآن (٢) فادرك اجمالاً في

(١) وحتى غير العرب . تأثر بالقرآن فقد تأثر الشاعر الألماني Joote جوته ، ويظهر ذلك في ديوانه الذي اسماه « الديوان الشرقي للمؤلف الغربي . فأدخل كثيرة من الألفاظ القرآنية وذلك نتيجة قراءته وإعجابه به ـ وقد قرأ جوته القرآن المترجم . .

(٢) ان لم نقل هو السبّاق لحفظ القرآن وإذا درسنا المسلمين . في المسجد فقط في عصر الرسالة . لوجدنا القراء والحفاظ وحملة الحديث وهم السابقون إلى الاسلام والمجاهدون في سبيل نشر الدعوة ووجدنا العبّاد ـ والفقهاء الذين أحاطوا بالشريعة ـ كل هؤلاء وعلي في الطليعة . وهو الكوكب الذي علا . واشرق في سماء النبوّة . لأنه علي !!

القرآن والذهنية بحاجة لتبيان ذلك الاجمال فأضطر لتوضيح ما جاء بالقرآن من مجملات وإيجاز .

ويكون مثله مثل من يوضح المادة القانونية الى فروع وفروض وافتراضات ومصاديق وامثلة وشواهد فيكون اذاً هو الأنسان الذي تصدى لتبيان القرآن في كلامه للمجتمع الاسلامي الذي احتاج لذلك التوضيح والذي احتاج لأستعمال القرآن في الحياة العامة ولوقوع المسلمين في الملابسات الذهنية وتعدد الأجتهاد والمجتهدين . فدعت علياً (ع) ان يكون خطيباً (١) موضحا ما كان موجزاً وما كان محتملاً لوجوه كيف وهو القائل في القرآن . .

وهو الذي نهى ابن عباس ان لا تجادلهم بالقرآن ولبيان ذلك !

(١) ولعله أول من ألف ودوّن في الشريعة الاسلامية ولعلي (ع) كتاب وذلك الكتاب جمع فيه الاحكام وقد تردد على لسان آل البيت ـ كتاب علي (ع) » روى الحلبي عن الصادق (ص) قال إن في كتاب علي بن أبي طالب ان من أكل مال اليتيم ظلماً سيدركه وبال ذلك في عقبه من بعده ـ بجمع البيان ج ٥ ص ٣٢ .

لو قرأنا كلام علي (ع) لوجدنا ذلك التأثير القرآني واضحاً في لغة علي (ع) وأسلوبه وافكاره (١) .

فهي مدرسة قرآنية يرجع اليها علي (ع) في كلامه . وما ذهب اليه أحد كتاب العصر إنما هو مجرد رأي وادعاء له وقصد خاص لم يفصح هذا الكاتب عن ذلك القصد: « وكان للقرآن الكريم الفضل في تخلص الخطباء فيما عدا علي بن أبي طالب والخوارج الاولين منهم من سجع الجاهلية واتجاههم نحو الاهتمام بالموضوع والفكرة كذلك أثر في اتجاهات الخطباء من الحكام والخلفاء واتجاهات الكتاب والوزراء في رسائلهم وتوقيعاتهم » (٢) .

ولا ندري لماذا استثنى هذا الكاتب علياً (ع) من مدرسة

(١) ولا عجب . فان علياً (ع) جرى القرآن في لسانه وانطبع في ذهنه . وقد ضرب مؤرخو الادب مثلاً لو ان رجلاً احاط باشعار العرب كلها وعاصر جيلاً من الشعراء وحفظ اكثر اشعارهم وتذوقها وشاركهم آلامهم . وبعد هذه الصحبة فارق هؤلاء وهو يحمل تراثهم ونتاجهم في حافظته وارتسمت صورهم وروائعهم في مخيلته فهو اديب ناقد .

(٢) غربال محمد شفيق الموسوعة العربية الميسرة ص ٨٣ .

القرآن وهل هو فضل لعلي (ع) . أو انه دون غيره لم يأخذ من القرآن ولم يتأثر . او ليس بينه وبين القرآن صلة وقرابة ! وهو الذي استمع له من ابن عمه المصطفى وفي أبياتهم تلي كتاب الله وقبل غيرهم رددّوه . وبذلك يشهد القرآن والمسلمون قديماً وحديثاً .

بآل محمد عرف الصواب وفي ابياتهم نزل الكتاب

ولماذا اشرك مع علي غيره في الاستثناء .

ولماذا الخوارج ! ! وعلي اسبق منهم للأخذ به وتلاوته . وهو مع القرآن . منذ نزوله . . فكان يتلوه وكان يوضح آياته ويعرف عظمته ولذلك أكثر الاستشهاد به . فلم تخلو خطبة من خطبه ولا رسالة ولا اجابة من إجاباته عن الاستشهاد بالقرآن .

« وعن فلاح السائل عن حبة العرني قال بينا انا ونوف (١) نائمين في رحبة القصر إذ نحن بأمير المؤمنين (ع) في بقية

(١) نوف البكالي أحد تلامذة الأمام علي - نوف بفتح النون وسكون الواو - ابن فضالة الحميري من علماء التابعين ويظهر من الروايات انه كان له اختصاص بأمير المؤمنين قال الجوهري نوف البكالي كان حاجب علي عباس القمي ج ٢ ص ٨٩ الكنى والألقاب .

من الليل واضعاً يده على الحائط شبيه الواله وهو يقول : « إنّ في خلق السموات والارض » !

. . . . . .

قال ثم جعل يقرأ هذه الآيات ويمر شبه الطائر عقله فقالي : أراقد أنت يا حبة أم رامق . . ؟ (١) .

« حركة التفسير والحاجة الى فهم القرآن »

وكان علي (ع) قبل غيره مفسراً لمتشابهات القرآن . ويختلف عن غيرة دراية وإحاطة وقدره على تأويل آياته . وقد نشطت حركة التفسير والتأويل أيام علي (٢) واختلف الصحابة بنقل

(١) القمي عباس الكنى والالقاب ج ٢ ص ٩٠ .

(٢) حركة التفسير اللغوي والبلاغي كان لها أثرها في ابراز صور القرآن وكان بداية تلك الحركة في عصر الامام علي (ع) لشدة الحاجة في المجتمع الاسلامي الى فهم القرآن والعمل به . كما حاول الامام علي (ع) ايام خلافته ونشطت حركة التفسير في عصره وكان هو القائم على ذلك واليه توجه الأسئلة ـ وانبثقت مدرسة ابن عباس في التفسير والتأويل . ومن بعده ظهرت مدارس في التفسير !

الحديث وتأويل الآي القرآني . فرجع المسلمون اليهم لأنهم صحابة الرسول واستمعوا لهم .

وفي حديث علي (ع) مع سليم عندما سأله عن تفسير القرآن : ومن يرجع اليه ليأخذ منه . فاجابه (ع) بالتحدث عن الرواة واصحاب الحديث ومشكلة الناس العامة وابتلائهم وحاجتهم الى غيرهم وافتقارهم الى رواة الحديث .

« فلو علم الناس انه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله ورآه وسمع منه وأخذ عنه . ولاهم يعرفون حاله وقد اخبره الله (ص) تعالى عن المنافقين بما اخبره ووصفهم وقال عز وجل :

« واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم » (١)

وفي هذا الحديث . صورة عما كان يعانيه المجتمع الأسلامي من حاجتهم للرواية وتأويل كتاب الله . ولكن علياً (ع) نبه السائل عن التأكد ومعرفة حال المسؤول خشية من التحريف والتلاعب والكذب والخطاء .

ومدرسة الأمام علي (ع) ـ هي مدرسة القرآن (٢) لغة وبياناً .

(١) القمي عباس الكنى والالقاب ج ٢ ص ١٢ .

(٢) نشأة المدرسة في المجتمع الأسلامي ـ فقد اتخذ . =

ومن خلال كلام علي (ع) . واسلوبه وبيانه . ندرك الطابع العام الذي اختص به علي (ع) فهو رجل بيان . ورجل يقول وفي قوله قدرة وتلقائية . وفي بيانه قوة . وفي كلامه فكرة . وفي كلامه فلسفة إنسانية .

وخلاصة القول : كلام علي (ع) لا يدانيه قول وهو يمثل شخصية قائله ويكشف قدرته الأدبية .

ويصور الطابع الخاص لمدرسة علي (ع) وبعد دراسة نماذج من كلامه ومقاطع من خطبه بعد ذلك سنصل الى الخصائص الفنية والقدرة على الاداء والتوضيح (١) وندرك اسلوب علي (ع) وصلة

= الرسول (ص) مسجده اول مدرسة وشكل حلقة ـ وعنها انطلق تفكير الصحابي الجليل مصعب بن عمير وشكل اول مدرسة اسلامية كان لها الفضل في نشر الاسلام وتوعية ابناء المهاجرين والانصار .

(١) ومدرسة علي ذات طابع . ومستوى . ولغة وهنا نتساءل كيف ارتقى علي (ع) لهذا المستوى ؟ وما هي العوامل التي صاغت منه هذا الانسان القدير الخطيب ؟ وما هي المؤهلات التي مكنته لهذه القدرة على هذا القول وكيف اكتسب علي (ع) =

ذلك كله بالقرآن لغة وبياناً وهدفاً .

وبعد دراسة نماذج من كلام علي (ع) ونماذج من كلام رسول الله (ص) ومقارنة ذلك بكتاب الله . ادركنا عدم التشابه بين هذه الاساليب الثلاثة : الاسلوب القرآني ، والاسلوب المحمدي الاعلى في الاعجاز . والاسلوب الثالث أسلوب علي ومدرسته (١) وهذه الاساليب الثلاثة متفاوتة ومختلفة . كما ان اسلوب القرآن اسلوب جديد . واسلوب النبي (ص) في حديثه واجاباته وخطبه اسلوب خاص به لا يشبهه اسلوب آخر .

واسلوب علي (ع) الخاص بكلامه لايشبهه اسلوب آخر (٢) ومن

= هذه القـــدرة يقول بلا تكلف والألفاظ تجرى على لسانه إن شاء اوجز وان شاء اطنب والمعاني طائعة له يخرجها بجمل مختلفة ـ وللاجابة . على ذلك مدرسة الرسول (ص) هي التي صاغته واخرجته وخرجته . . بهذا المستوى !

(١) وبهذا يظهر بطلان القائلين بان نهج البلاغة موضوع على لسان علي وانما هو من وضع الشريف . فاسلوب النهج هو اسلوب خاص لا يماثله اسلوب خاص . ولا يدانيـــه اسلوب آخر قديماً وحديثاً .

(٢) ولذا قيل اسلوب الرجل هو الرجل واسلوب علي (ع) في كلام لا يوجد في كلام غيره .

يدرك اسلوب علي (ع) وغيره بذوق ادبي يجزم بصحة ماورد عنه (ع) من كلام لأنه اسلوبه الخاص . وهو يمثل مدرسة علي (ع) وطابعها ومدرسة علي (ع) لها وجودها وآثارها واستقلالها ونتائجها العلمية والأدبية . في التاريخ العلمي والأدبي وفي العقل الفلسفي .

المدرسة القرآنية طابعها ومعالمها :

وقد حاول أدباء العصر دراسة هذه المدرسة ومعرفة آثارها وطابعها . والوصول الى خصائص وطبيعة هذه المدرسة وما أنتجته من أدب وسياسة وعلم (١) .

فاطلق عليها ـ الباحثون ـ المدرسة القرآنية والمدرسة الأنسانية والمدرسة الواقعية . والمدرسة الجامعة تارة . ومدرسة الأصلاح

(١) وفي نهج البلاغة خطب ورسائل وكلمات قصار واجابات وفي كتب الحديث التي دونت الحديث . وهي كتب الصحاح عند الفريقين عند السنة هي البخاري . . . الخ .

وعند الشيعة هي : الكافي والتهذيب والاستبصار . . . الخ .

وما قرأناه من آيات وسور وجدنا في هذه الثلاثة اساليب ثلاثة مختلفة القرآن ، النبي ، (ص) وعلي (ع) .

الاجتماعي وحاول الباحثون دراسة كلام علي (ع) الذي يشكل مدرسته . وخصائص هـــذا النتاج البليغ (١) وحاولوا دراسته دراسة جديدة . دراسة موضوعية تتناسب وعقلية هذا العصر .

« ونستطيع ان نسمي هذه المدرسة بالمدرسة الواقعية وادب علي (ع) هو الأدب الواقعي يقول الواقع ويعيش الواقع نتيجة لتجربته في الحياة التي عاشها واحسّ بها فهو الأنسان الواقعي ثم تغذى بالأيمان وصقلت عقليته واكسبته التربية الاسلامية مواهب نفسية ذات طابع خاص وهو الطابع الواقعي يقول الواقع وينشد الواقع ويقول الحقيقة ويدعو الى الحقيقة ويريد الحقيقة ويعيش الواقعية .

لا يقول الكلمة الجميلة فقط او ينطق بجمال القول دون ان يقصد الواقع فالواقع في ادب علي (ع) والواقعية هو الهدف

(١) ورغم كثرة متاعبه وآلامه وتكاليفه ومشاغله ـ رغم ذلك فقد قام بدور عظيم في التوعية ورفع مستوى العقلية وخلق مجتمع فاضل من الأمـــة . وفعلا استطاع ان يخلق جيلا مثقفاً من اتباعه وطبقة واعية للحياة وكان منهم العسكري ومنهم الراوي ومنهم البليغ ومنهم المفسر ومنهم الأنسان الفقيه بالشريعة واللغة وقد ذكرهم ومدحهم ورثاهم بقوله (ع) :

المقصود وهو المطلوب في كلامه وقولنا الواقعية وهو ما اصطلح عليه بالعرف السياسي حديثاً (١) والمدارس الادبية اليوم .

وادب الامام علي (ع) هو ادب واقعي وهو انعكاس للحياة التي عاشها علي (ع) وذاق كل الوان الالام .

وجاء الادب الواقعي في خطب علي (ع) ورسائله وكلماتـــه القصار .

فالامام علي (ع) هو الاديب الواقعي ومن الرواد الاوائل للواقعية (٢) . وذلك لان علياً (ع) هو الانسان المسلم الذي عاش الاسلام عقيدة، والاسلام هو الذي امتاز بالواقعية .

ولان علياً (ع) هو الانسان العربي الواقعي الذي تذوق الاسلام

(١) ماذا يعني بهذا المصطلح والذي كثر وروده على صفحات المجلات الأدبية وراج على السن الأدباء والباحثين وانصار المذاهب الأدبية الحديثة وحتى السياسية بان الادب الواقعي هو انعكاس وتصوير صادق - وبصراحة - للواقع الذي يعيشـــه الاديب او يمثله او يعيشه في واقعه .

(٢) كيف ندرك الواقعية في قول علي (ع)؟ اذا قرأنا ماورد عنه وقسناه على السلوكية وعلى المنهج وعلى ما صدر عنه من فعاليات مختلفة منذ حداثته سنة وحتى كهولته ! !

والأسلام جاء لكل انسان ولكن علياً (ع) عاشه فازداد واقعية على واقعيته الانسانية .

وجاءت واقعية علي (ع) في كلامه . فهو عندما يصور الجوع او يصور الظلم او يصور العدل او المساواة (١) .

انما يصور ذلك بالفطرة ثم عاش الأسلام فاصبح ميالاً الى النظرة الحقيقية الواقعية . .

وعلي (ع) اذا تكلم يختلف عن غيره . فغيره قد يهمه التعبير الجميل حقيقة او مجازاً ولكن علياً (ع) ليس مجرد التعبير او ليضع الكلمة في معناها الحقيقي او المجازي او استعارة او كناية .

وانما الواقعية عند الأمام علي (ع) هي الفلسفة الحقيقيـــة البناءة الواقعية (٢) » .

(١) وفي كلام علي (ع) احاسيس نفسية كان (ع) يحس بها ويبرزها في كلامه يحس بألم الفقر وبؤس البائسين وحاجة الجياع للقوت فشارك هؤلاء واقترب اليهم وان لم يكن معهم . وبهذا يختلف علي (ع) عن غيره .

(٢) الاستاذ عناد غزوان استاذ الادب العربي - خلاصة حديثه عن الامام علي (ع) . الذي القاه من اذاعة تلفزيون بغداد بتاريخ ٢٢ / ١١ / ١٩٧٠ م المصادف ٢١ رمضان ١٣٩٠ =

خصائص المدرسة الواقعية :

وتمتاز مدرسة علي (ع) الادبية بالنزعة الواقعية اولا وبالنزعة الانسانية ثانياً .

والانسانية المقصودة المحدودة : والانسانية في الادب او الأدب الأنساني هو الذي تفوح منه رائحة الانسانية . والادب الانساني هو الذي يعانق عصره بصورة واقعية .

والاديب الانساني هو الاديب المفكر إنسانياً لا محلياً او اقليمياً ، فهو للأنسانية . وعلي (ع) هو الذي يمثل النزعة الانسانية المستمدة من الاسلام (١) والاسلام بطبيعته وجوهره فكرة وعقيدة ونظام للحياة (٢) .

= بمناسبة ذكرى وفاة الامام علي (ع) .

(١) فاخذ من الرسول علمه وقوة الشخصية وتكوين الطاقة التي لا تقهر ولا توجد . واستفاد نظرته الى الحياة وقد جاء في بحر المعارف ص ٣١٢ قال الرسول (ص) انا كالشمس وعلي كالقمر .

(٢) وفي كلام علي (ع) فلسفة انسانية ـ فهو الفيلسوف الانساني والانسانية عند علي (ع) .

والامام (ع) عندما يعظ او ينصح احد الولاة او العمال انما يسكب في كلماته هذه التجربة التي عاشها ومر بها والمتأمل لكلام علي (ع) في نهج البلاغة يجد النزعة الأنسانية طاغية في أدب الامام (ع) .

وحيث إن الامام علي (ع) تربى في ظل المشرع والشريعة فنمت روحه الأدبية الواقعية (١) .

وما دام الاسلام وقف مشجعاً للتجربة الادبية ولم يقف موقفا سلبياً امام الشعر والشعراء ـ فالقرآن بالذات لم يقف موقفاً سلبياً من الادب والادباء .

فالروح الأدبية لم تجمد في ظلال الأسلام .

وتمتاز هذه المدرسة بالقابلية والقدرة على رسم الصورة .

فالامام علي ذو موهبة وقدرة على رسم الصورة .

---

(١) تختلف عن غيره كثيراً ومن اراد ان يعرف ذلك فليقرأ لعلي (ع) بروح انسانية . ويدرك الانسانية .

وتتقوم شخصية علي (ع) . علم + عقيدة + كفاح .

ثبات + تعصب للحق + عطاء فكري = علي (ع) .

وذات + فكرة . تجسد قرآني صادق . انه علي (ع) جسد يشبه الأخرين وشبكة ذهنية خاصة به وعقلية انطبع بها كل شيء .

فهو اذا تكلم وضع الكلمة في موضعها (١) بصورة جميلة واذا فصل واطنب فلا يخرج عن القصد ولا يتوسع بتكلف وانما يتكلم بصورة عفوية تلقائية . لأنه عاش المحيط العربي ونشأ عربيا بالفطرة فاذا تكلم فلا يصدر عن إتباع قاعدة موضوعة له .

وانما يتكلم لأنه هكذا يتكلم . وكلام علي (ع) في هذا البيان الساحر القوي انما يصور لنا مرحلة علم البيان والبلاغة ودوراً من ادوار المعاني قبل ان يستقل علم المعاني والبيان (٢) من الأدب .

(١) اللغة تمثل شعور الفرد وتنقل ما في ذهن المتكلم وهنا سؤال هل تكون اللغة مجردة عن الشعور والتصورات والعاطفة والألم ؟ :

قد يتكلم الفرد بلغة مجردة ؟ وقد تكون عكس ذلك تنقل مايدور في ذهنه من تصورات وتحمله للسامع ـ فاذا كان علي (ع) ؟ انساناً وشأنه شأن كل فرد وفي نفس علي (ع) آلام وشعور فهل كلام علي (ع) يحكي لنا ما كان في ذهن على وفي نفس علي (ع)؟ فقد وجدنا في كلام علي (ع) آلامـــه وافكاره حق التيارات الفكرية الرائجة في عصره .

(٢) واستقل علم البيان بما قدمه علماء البلاغة من دراسات وتحقيقات وبحوث =

فاذا تكلم علي (ع) جاء بكلام قوي على البداهة والسرعة . وبالقدرة على رسم الصورة باحساسه وذوقه الرفيع . وهو كلام يعبر عن إنسان قدير ليس كغيره .

وتمتاز هذه المدرسة . وهذا الادب الواقعي الانساني الذي ينسب لعلي (ع) . يمتاز بانه جاء باللغة الفصحى التى تحدث بها فهو أدب جاء باللغة القوية (١) الفصيحة فعلي (ع) فصيح اللسان وقد اخذ اللغة من منبعها وتكلم باللغة الحية والامام علي (ع) في نهجه جاء باللغة التي تمثل حضارة عربية ويقدم لنا نموذجاً لغويا ولغة عربية في مرحلة من مراحل قوتها ونقائها

= كالشيخ عبد القاهر الجرجاني صاحب دلائل الاعجاز تلميذ الصاحب بن عباد ـ الأمامي ـ والسكاكي والقزويني والزجاجي ـ وما ظهر من مؤلفات بلاغية جليلة .

(١) واللغة التي تكلم بها علي (ع) في عصره تختلف عن اللغة التى يتكلم بها العامة . يوم طغت العامية . ولكن علياً (ع) الرائد الاول لتحرير اللغة من الدخيل وهو الذي نبه على وجود دخيل مازج اللغة العربية ـ وجاء من بعده رواد حاولوا تحرير اللغة من العامية واللحن ومن الدخيل الذي خالطها .

قيل ان يدب الى اعضائها الوهن والضعف والتأخر (١) .
ويضاف الى ذلك خاصية خامسة وهي الغاية والهدف .

فاذا خطب او قال علي (ع) فهو ذو غايـــة وقصد يحاول الوصول اليه . وتحقيقه وايصال السامع نفسيا اليه . بعد توضيح ذلك الهدف وابرازه له .

واذا خطب علي (ع) او يقول او يكتب انما يصـدر عن ايمان بما يقول وينطق به فاذا تحدث عن الآخرة فهو مؤمن بها واذا دعا الى الاخلاق او اراد منهـــم الارتحال والرحيل

(١) هذه خلاصة الحديث الادبي الذي تحدث به استاذ الادب العربي والنقد الادبي ـ بجامعة بغداد ـ عناد غزوان من تلفزيون بغداد عن طبيعة مدرسة الامام علي (ع) وخصائصها . ليلة الاحد بتاريخ ٢٢ / ١١ / ١٩٧٠ المصادف ٢١ رمضان ١٣٩٠ هـ بمناسبة وفاة الامام علي (ع) .

قال مؤلف بحر المعارف معلقاً على قوله : وذلك لان الناس اعداء ماجهلو فاذا طلع لهم باب من العـلم فقصر دونه افهامهم كذبوا قائله » تصور حال عالم في مجتمع متخلف تكثر فيه شياطين الارض ومنافقون وطامعون . فعلي (ع) قتلته آلامه وذابت نفسه ومات قبل اجلـه ! !

النفسي قبل السفر الجسدي فهو قبل السامعين قد ارتحل وشدّ رحله وتزود وسافرت نفسه قبل جسده وتزود من الدنيا باليسير فاذا قال قولاً كان هو السباق للأخذ به والايمان بما قاله او قال عنه او ورغب به او عنه فاذا تحدث عن الجنة والنار كان هو المؤمن الراغب واذ زهد بالدنيا فكان سيد الزاهدين .

وهنا يتجلى الفرق بـين علي (ع) وبين غيره (١) بين من يقول ويؤثر في السامع نفسيا ويبعث فيهم روحا جديداً وبين من يقول ولا يعتقد بما قال ولا يتأثر هو بقولـــه ولا يعمل بما قال . فهو القوّال بلا عمل فيه الجمال والأبداع ولكن في المجال التطبيقي كان خلاف ذلك (٢) وما اكـثر خطباء العصر الذي

(١) ولو أخذنا خطبة له وخطبة لأحد الخطباء المشهورين في العصور العربية السابقة واللاحقة . لرأينا هذه الخطب تختلف كثيراً عن خطب علي (ع) . وخطب علي (ع) لها الهيكل ولها الصورة ولها اجزاء وتسلسل فصول ومقدمـــة ومطلع وخاتمة وشاهد ـ ولو اخذنا خطبتين لعلي او ثلاث خطب لرأيناها مختلفة ولا صلة بينها ولا إعادة ولا تكرار وهذا شاهد على قدرته (ع) .

(٢) ومن قال وهو غير مؤمن ولا معتقد بمقالته فذلك اسوء الحديث .

يسكب الكلام الحماسي داعياً الأخلاص والوطنية بقوالب مقبولة وكلام جميل ودعوة الى الأصلاح ولكن هو اول للتكاسلين المقصرين ! !

اما علي الأنسان (ع) الواقعي في اسلوبه ومنطقه يقول عن واقع وايمان واعتقاد بما قال وهذا هو الفارق والفيصل بين علي (ع) وغيره فكان خائفاً اذا تحدّث عن العقاب . وكان زاهداً اذا تحدّث عن الدنيا . وكان من المتقين اذا تحدث عنهم وقوله ينبعث عن واقع يعيشه علي (ع) وايمان راسخ مطبوع في نفسه .

وقد نضيف خاصية سادسة . وهي : ان تراثه (١) وليد عصر مليىء بالأحداث وادبه ذو مناسبة دعته الى القول والتحدث والأجابة .

فما صدر عنه كان ذو صلة بالعصر والاحداث وذو قابلية عن كشف نفسية الشعب الذي عاصره وعاشـــه وذو ارتبـاط

(١) علي والتراث الحضاري العربي فهو راوي لذلك التراث العربى الأسلامي ومن حملة ذلك التراث وهو من بناة لوجود هذا التراث ومن الذين خلقوا وارتجلوا هذا الـــتراث وتركه للأجيال ميراثاً وتراثا عربيا اسلاميا . وعلينا المحافظة على هـذا التراث لنسلمه لغيرنا .

بالأحداث والمشاكل الاجتماعية وبعبارة اخرى ادب علي (ع) . مرآه للفترة (ع) التى قيل فيها ومرآة للمجتمع نفسا وعقلاً وسلوكا .

وطبيعة وما واكب ذلك من اشتباكات وتفاعلات ومفارقات ولا عجب اذا كان علي (ع) كثير القول ! وما صدر عنه اكثر مما صدر عن غيره للدواعي العامة (١) .

ولا عجب اذا كان الامام واقعيا في قوله فهو ذو صلة بالواقع الذي كان يعيشه وعاشه في حياته .

ولذلك فلا يمكن تجزأة هذه الخصائص او فصلها عن مدرسة الامام علي (ع) الادبية . وكيف ما كانت فهي تدور حول القرآن وفي كل ذلك فكان منطقه القرآن ودعوته ومصدر قوله (٢) .

(١) ولا عجب اذا بلغ علي (ع) هذا المستوى ـ من الذكاء ـ والمستوى الثقافي . بحيث فاق الصحابـة . وحتى اسرته وحتى اخوه من بني امه ـ واكثر من ذلك فاق جميع العرب بما حواه وقام به . وصدر عنه . ونطق به . حتى قال فيه الرسول مالم يقل في غيره لانه اهل لذلك ! !

(٢) وقد تسأل ماهو السر الذي خلق عليا (ع) بهذه القدرة وهل هناك عوامل لم تكن في غيره . . ؟ هل كثرة صحبته او شدة إقباله على القرآن او استعداده الذهني ولعل الرسول هو اجاب =

وثقافته وقصده وهو الكتاب الذي انطبع على شفتيه وجرى على لسانه طوال ايام حياته .

ومن خلال كلامه (ع) ندرك وجود القرآن ـ الوجود الذهني ـ والقرآن الذهني يختلف عند علي (ع) ذاتاً وسلوكا عن القرآن عند الآخرين .

ثقافة الامام علي (ع) ومصادرها :

وكان لصحبته للنبوة اثرها النفسي فاستفاد اكثر من غيره واخذ اكثر من غيره (١) .

وكان للمحيط اثـــره في نفس علي (ع) من حب الثقافة العربية (٢) التي ادركها ووعاها .

= عن ذلك بقوله (ص) بالحديث : « اعطاني الله خمسا واعطي عليا خمسا منه واعطاه فهو ملهم » .

(١) صحابة النبي (ص) مختلفون : من حيث الاحاطة والاستفادة والاستعداد الذهني والحافظة وحاسة السمع والامانة والاداء . .

(٢) فقد وجدناه يستشهد باشعار جاهلية وامثلة وحكايات ويتحدث عن الواقع العربي الذي كان قبل الأسلام .

وهو فوق ذلك ذو إستعداد ذهني وذكاء رفيع وقابلية نفسية ورغبة وكانت النتيجة ما حصل له مالم يحصل لغيره وما أخذه اوسع ثقافة وعلماً من غيره . وقد تم لعلي (ع) منذ طفولته وحداثته .

المصدر الأول لثقافته :

هو القرآن الذي تأثر به وشرب آيه من طفولته وايام النبوة وفي عصر الأشراق القرآني وعلي (ع) هو الذي تلاه ووعاه وعرف سحر إعجازه .

فما كان عنـد علي (ع) من بيـان وقدرة فهي عن القرآن مصدرها .

والقرآن مصدر من افضل واعظم المصادر الثقافة العربية (١) .

ومن يدرس علياً (ع) في تراثه ادرك ما استفاده علي (ع)

(١) وفي القرآن فصول بلاغية . فالايجاز والأطناب والطباق والأزدواج . والاستعارة والكناية والتشبيه . وفيه فصول أدبيـة رائعة ـ رعاية للمقام وجمال في الكلمة وسحر في البيان وحسن الأداء . والفن القصصي .

من كتاب الله من كلمة واسلوب ومعنى وجمال .

والقرآن مدرسة جامعة او فصول ساحرة في الأدب والدين . والقديم والحديث .

ولكن علياً (ع) واكب نزوله وادرك ما فيه من عمق وابعاد فتكونت عنده ملكة وقدرة وكلها من محيط (١) القرآن ومن شريعة هذا الكتاب .

واذا كان علي (ع) ذو قدرة على القول القرآني والكلمة القصيرة ذات المعاني والوجوه .

واذا كان علي (ع) يطلق الكلام الحلو والحرف المرصّع والجواب بداهة بغير تكلف . لأن القرآن وما فيه من حروف وكلمات يزدحم في ذهنيته الواسعة وبذوق عربي . وروح انسانية وبعاطفة

(١) مدرسة اللغة عند علماء الاجتماع هي مدرسة المحيط . والبيئة وهي التي تصوغ الفرد ـ ولذا قال علماء الأجتماع ان الفرد رهين الأسرة ـ والعائلة عندهم هي المؤسسة الاجتماعية التي تغلغل في ذهنية الفرد المفاهيم والقيم والعادات وحتى الفلسفات والدين ـ فتعالى معي الى البيئة التي صاغت علياً (ع) ـ هي مدرسة النبوة ! ! فكيف يكون الرجل ! ! ؟

ملائكية (١) .

فكل ذلك لانه انصهر في بوتقة قرآنية وكل ذلك لانه فهم القرآن فهما يختلف عن فهم الآخرين قديماً وحديثا . ومهما ارتقينا في الأنكشافات الذهنية وادركنا اللغة واسرارها فقد نصل اولا نصل الى فهم اعجاز هذا الكتاب العظيم او ندرك ـ او لا ندرك اسرارهو هذا الكتاب العظيم ـ كما وصل اليه علي (ع) يوم كان فتى قريش وبطل بني هاشم ويوم نشأ النشأة الأولى العربية وتغذى العروبة من محيطها وأخذها بالفطرة في عصر ازدهارها وبعد نزول القرآن ازداد وعيا وثقافة من هذا الكتاب ـ ولا عجب لو صرح باحاطته الواسعة وفهمه لكتاب الله اكثر من غيره الذين تصدّروا المجالس ورفعوا رؤوسهم وظنوا انهم اعرف به دونه !

فكان علي (ع) مليىء باسرار القرآن ومحتواه بما اوحى اليه الرسول (ص) من اسرار واشارات (٢) .

(١) ويجدر بنا ان ندرس هذه الشخصية ومستواها العلمي ـ والعصر ـ والنتاج الذي ينسب اليه والتراث العلمي والأدبي . والفكري وحتى النشاطات الفكرية في عهده (ع) .

(٢) جاء في بحر المعارف ص ٣١٥ عن النبي (ص) « ياعلي (ع) ما سألت ربي شيئاً الا سألت لك مثله غير انه قال لا نبوة بعدك » .

آثار قرآنية في قول علي (ع) :

ويكاد ينفرد علي (ع) بذلك ان خطبه مليئة بالآي القرآني فقد نجد آثاراً قرآنية في خطبه ونقرأ عدة آيات قرآنية اقتبسها (١) شواهد على ما يقول .

١ ـ يقول عليه السلام . في فضل الصلاة والزكوة والجهاد وكلها عن القرآن .

٢ ـ ويقول عليه السلام « الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصى نعماءه العادون » .

يقول ابن ابي الحديد في كتابه ومنه في الكتاب العزيز كثير كقوله تعالى : « وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها » (٢) .

٣ ـ وقوله عليه السلام « الذي ليس لصفته حد محدود » ولا نعت موجود ولا وقت معدود » .

(١) عملية الأخذ من القرآن : شاهد . او كلمة قرآنية ينقلها او يأخذ المعنى القرآني والفكرة القرآنية في كلامه . ولكن القالب والصياغة لعلي (ع) ولكن المضمون جاء في القرآن اما الشكل فهو من عمل علي (ع) .

(٢) سورة « ابراهيم » . ابن ابي الحديد ج ١ ص ٥٩ .

يقول ابن ابي الحديد « واعلم أن نفي الأحاطة مذكور في الكتاب العزيز في مواضع منها قوله تعالى : « ولا يحيطون به علماً » (١) .

ومنها قوله تعالى « ينقلب اليك البصر خاسئاًوهو حسير » (٢).

٤ ـ ويقول عليه السلام « فطر الخلائق بقدرته » من قوله تعالى « رب السموات والأرض وما بينهما » (٣) .

٥ ـ ويقول عليه السلام «نشر الرياح برحمته » يقول ابن ابي الحديد من قوله تعالى « يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته » (٤) .

٦ ـ ويقول عليه السلام ووتد بالصخور ميدان ارضه » يقول ابن ابي الحديد من قوله « والجبال اوتاداً » (٥) .

وقوله عليه السلام : تعاهدوا امر الصلاة وحافظوا عليها ، واستكثروا منها وتقربوا بها فانها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً الا تسمعون الى جواب اهل النار حين سئلوا : « ما سلككم

(١) سورة « سورة طه » .

(٢) سورة « الملك » ابن ابي الحديد ج ١ ص ٦١ .

(٣) سورة « الشعراء » .

(٤) سورة « الاعراف » ابن ابي الحديد ج ١ ص ٦٢ .

(٥) سورة « النبأ » ابن ابي الحديد ج ١ ص ٦٢ .

في سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين « وأنها لتحت الذنوب حتّ الورق وتطلقها اطلاق الربق » (١) .

بين كلام الله وكلام علي (ع)

لو ذكرنا فصلاً قرآنياً ومقطعاً من خطب علي (ع) . لندرس هذا او هذا لرأينا علياً ذلك المتأثر بكتاب الله (٢) . ولو قرأنا آياتٍ من القرآن وتوقف الذهن لادراكها . رجعنا الى كلام علي (ع) لتوضيح هذا الفصل .

وبعد قراءة هذا النص وذلك النص لأدركنا الاقتراب والتقارب وهنا يذكر العلامة الراوندي هذه المقارنة بني الآي القرآني وبين مقطع من كلام علي (ع) .

ويروي لنا هذه المقارنة بين النصين الواردين في « المدرسة الراوندية » يروى ذلك ابن ابن ابي الحديد (٣) .

---

(١) ابن عبده ج ١ ص ١٧٨ نهج البلاغة .

(٢) والكلمات التي قالها علي (ع) نوعان : نوع له وجود في القرآن ونوع آخر ليس له وجود في القرآن نصاً وانما معناها ودلالتها ومؤداها جاء في القرآن العزيز .

(٣) مذهب إبن الراوندي .

« ثم قال الراوندي في قوله تعالى : وان تعدّوا نعمة الله لا تحصوها بلفظ الأفراد . وقول امير المؤمنين (ع) لا يحصى نعماءه العادون بلفظ الجمع سر عجيب ؛ لأنه تعالى اراد ان نعمة واحدة من نعمه لا يمكن العباد عدّ وجوه كونها نعمة .

واراد امير المؤمنين عليه السلام ان اصول نعمه لا تحصى لكثرتها فكيف تعد وجوه فروع نعمائه .

وكذلك في كون الآية واردة بلفظ « ان . . الشرطية وكلام امير المؤمنين عليه السلام على صيغة الخبر تحته لطيفة عجيبة لأنه سبحانه يريد انكم ان اردتم ان تعدّوا نعمه لم تقدروا على حصرها وعلي عليه السلام اخبَرَ انه قد انعم النظر فعلم ان احداً لا يمكنه حصر نعمه تعالى » (١) .

واما مذهب ابن أبي الحديد :

فيناقش بما ذهب اليه العلامة الراوندي من التفرقة بين كلام الله وكلام علي (ع) ويرد هذه التفرقة : يقول . . ابن ابي الحديد « وما ذكره من الفرق بين كلام الباري وكلام امير المؤمنين عليه السلام غير بتين فانه لو قال تعالى :

وان تعدوا نعم الله وقال عليه السلام ولا يحصى نعمته

---

(١) ابن الراوندي . . عن ابن ابي الحديد ج ١ ص ٦٦ .

العادون لكان كل واحد منهما ساداً مسد الأخر » (١) .

ويناقش ابن الحديد العلامة الراوندي في مذهبه في التفرقة بين قول علي (ع) والآي القراني للتقدم ، يقول ابن ابي الحديد في رده على رأي ابن الراوندي .

« اما اللطيفة الثانية فغير ظاهرة ايضاً ولا مليحة : لأنه لو انعكس الأمر فكان القرآن بصيغة الخبر وكلام علي (ع) بصيغة الشرط لكان مناسباً حسب مناسبته والحال بعكس ذلك » (٢) .

ويعتذر ابن ابي الحديد ويرجح مذهب الراوندي « اللهم الا ان تكون قرينة السجعة من كلام علي عليه السلام تنبو عن لفظة الشرط والا فمتى حذفت القرينة السجعية عن وهمك لم تجد فرقاً » (٣) .

وقال ابن ابي الحديد « واما قراءتـــه القرآن واشتغاله به فهو المنظور اليه في هذا الباب ، اتفق الكل على انه كان يحفظ

(١) ابن ابي الحديد ج ١ ص ٦٦ .

(٢) ابن ابي الحديد ج ١ ص ٦٦ .

ولكن قول الراوندي اقرب الى الصواب ـ المؤلف .

(٣) ابن ابي الحديد ج ١ ص ٦٦ .

وهذا بعيد وتكلف ـ المؤلف .

القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن غيره يحفظه ، ثم هو اول من جمعه نقلوا كلهم انه تأخر عن بيعه ابي بكر فاهـل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من انه تأخر مخالفة للبيعـة بل يقولون : تشاغَلَ بجمع القرآن ، فهذا يدل على انه اول من جمع القرآن لأنه لو كان مجموعاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لمـا احتاج الى ان يتشاغل بجمعه بعد وفاته صلى الله عليه وآله » (١) .

وليس يدعونا جمعه بعد وفاته او كان مجموعاً في حياته ، وانما يهمنا معرفة الصلة الوثيقة بين علي (ع) والقرآن (٢) وكيف اصبح عبقريا وفوق العباقرة ؟ واذا هو من صغره يتجسد القرآن

(١) ابن الحديد ابي الحديد ج ١ ص ٦٦ .

(٢) وهذه الصلة بدأت في زمان مبكر ـ أيام النبوة وبدأ علي (ع) دوره مع وجود الرسول ورجعوا اليه اكثر مرة . ومن يرجع اليه ؟ هم الصحابة وكان هو الحكم بينهم فاذا وقعوا في خلاف واختلاف . رجعـوا الى ابي الحسين ورواية ابن مسعود تدل على ذلك ـ تمارينا في سورة من القرآن فقلنـا خمس وثلاثون . وست وثلاثون آية قال فانطلقنا الى رسول الله » . (الحديث) راجع مسند احمد ج ١ ص ١٠٤ .

على لسانه .

والأجابة على السؤال :

كيف حصل لعلي (ع) مالم يحصل لغيره ولن يحصل لغيره ؟

والأجابة باختصار أعطي لعلي (ع) مالم يعط لغيره واجتمع له مالم يجتمع في غيره واذا به علي (ع) والقرآن (١) . لن يفترق هذا عن هذا في موضع او مناسبة . .

فكان اول متكلم واول بليغ واول خطيب اقتبس من الآي القرآني (٢) في كلامه : وما اخذه من القرآن وادخله واستشهد به دليل على هذا التأثر والتأثير والاقتباس يقول عليه السلام :

(١) واذا بعلي (ع) والقرآن في دائرة واحدة ـ مصداقاً لقوله (ص) لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض . ولا يدنك هذا الثلاثة والتقارب الا بعد دراسة وتأمل ادركنا ما في هذا وذاك واينما وجد عليّ (ع) كان القرآن موجوداً معه !

(٢) وعلي (ع) اول من استمع للقرآن لكونه في البيت النبوي ومن اهل البيت . ولكونه اقرب من غيره للرسول (ص) ولأنه كان كاتباً للوحي شهد بذلك جمهور المؤرخين « فكان علي (ع) كاتباً وينافسه عبد الله بن رواحة ويقال إن عبد الله بن رواحة كاتب اسرار النبي (ص) وكان احد الاشخاص المعدودين الذين يحسنون الكتابة=

انشأ سبحانه فتق الأجواء هو من قوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما « سورة الانبياء » ويقول عليه السلام :

والماء من فوقها دفيق من قوله تعالى « من ماء دافق » ويقول عليه السلام « فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً وعلياهن سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً بغير عمد يدعمها » (١) من قوله تعالى .

وقوله عليه السلام « ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب واجرى فيها سراجا مستطيراً قمراً منيراً في فلك دائر وسقف سائر » (٢) .

هو من قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد « سورة الصفات » .

(١) ابن ابي الحديد ج ١ ص ٨٣ .

(٢) ابن ابي الحديد ج ١ ص ٨٣ .

= بين العرب في ذلك العهد « المنجد في اللغة ص ٣٣٥ » واذا صح وجود كتاب للرسول فهم بين كاتب للرسائل وكاتب اسماء الناس . وكاتب المعاهدات وكاتب الاموال اما كاتب القرآن شرطه الأمانة .

وسبب هذا التأثر المشهود والملاحظ لانه ذاب وخالط وشارك الرسول في مسيرة الدعوة وما صاحبه من عقبات وهو القائل :

« كنت اسمع الصوت وابصر الضوء سنين سبعاً » (١) .

ولا غرابة ان تؤثر هذه المدة في نفس هذا الفتى الحدث الذي صاغته مدرسة النبوة وصقلت عقليته مدرسه القرآن وبعد حفظ القرآن واحاط باسراره وتذوق اعجازه (٢) .

ولا غرابة في ذلك فان علياً اغترف من بحره وامتلأ وحيا قرآنيا ومهما تطور الفكر وتوسع الذهن وتعددت مذاهب التفسير اليوم وبعد اليوم فلن يصلوا الى ماتوصل اليه علي (ع) .

فقد نطق علي (ع) بمعارف قرآنية واظهر اسراراً باطنية خطيرة لا تدرك الا بقوة ذهنية وملاحظة دقيقة . .

---

(١) ابن ابي الحديد ج ١ ص ١٥ .

(٢) وقيل عنه ـ ان ماورد عنه (ع) من خطب ورسائل اكثر مما ورد عن الرسول (ص) والجواب على ذلك ان الرسول كان يكتفي بالقرآن وزمان علي (ع) كان اشد حاجة الى هذه التوعية والبيان فاتخذ من الخطابة لنشر الثقافة الاسلامية وغرس الافكار القرانية في النفوس .

فاذا وجدنا في كلامه تشبيه واستعارة وكناية (٢) وجمال فهي وليدة ومستنبطة من هذا البحر القرآني .

واذا وجدنا جملاً وهي بنسج فني وذا امتداد محدود وذات مسافات متناسقة لا تختلف طولا ولا عرضا وذات قواف متناسبة فهي في ظلال اطراف وفي نهاية الآيـــة واصواتها كاصوات هذه الآيات وفيها ايقاع . وهي تحمل معاني فلسفية دقيقة ومصطلحات علمية .

فكلام علي (ع) بني العلم والأدب وهو اول من تكلم بالأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي في خطبه (١) .

---

(١) الفرق بين الأسلوب العلمي والأدبي كما ذكر مؤرخو الأدب . وعلي (ع) جاء بالاسلوب العلمي تارة . وبالادبي تارة أخرى. وهنا نتساءل هـل علي (ع) رجـــل سلك المسلك العلمي في خطبه ـ كما سلك العلماء ؟ او هو رجل بيان وكلام وخطابه والاجابة على ذلك . على في خطبه رجـــل علم وادب . والقرآن كتاب بيان وعلم .

(٢) ولا حاجة لذكر امثلة تدل على بلاغة علي (ع) ـ وهذا شاهد واحد اضعه بين يديك . يقول (ع) « ارى تراثي نهباً » كنى عن الخلافة بالتراث وهو الموروث من المـال ـ ابن ابي الحديد ج ١ ص ١٥٣ .

ولا غرابة اذا شكك العقل المعاصر في كلام علي (ع) لأنه كلامه هو مدعاة للشك ولأنه يحمل معاني فوق العصر الذي عاشه علي (ع) وماذا نقول لهؤلاء المشككين ؟ ومن كان مشككاً فلا دليل يقنع ولا دا. له ينفع . فقد وجدنا اناساً يشككون بما هو من البديهيات والمشهورات والمسلمات وبما هو موثوق به او يعتمد على مصدر وهو يعيش الشك بذلك . فاذا شككاً بما نسب لعلي ـ فاذا ادركنا انه فرع من القرآن . ثم قارناه مع القرآن لغة واسلوباً . ثم يرجع الى عصر علي ونقيس هذا النص المروى بمستوى العصر واحداثه وعقليته . ومن كان فيه وما رافقه من افعال وانعكاسات . فاذا كان دون ذلك او عن القرآن بعيد او لا يتصل لذلك بصلة .

لا لغة ولا اسلوباً ادركنا انه من وضع الوضاع (١) .

ولا نستطيع القول . بان علياً لم يوضع على لسانه او نسب اليه

(١) كثر المشككون في عصرنا ـ فاذا ذكرت معجزة او كلاماً لبطل من ابطال الاسلام شككوا في ذلك . ولكنهم روجوا كل جديد مسطر على صفحات المجلات وآمنوا بما يسمعون عن عمالقة العصر ـ وظنوا انه لا يخالطه شك اما حضارة آبائهم واسلافهم فهي موضوعة عليهم ـ ولكن ما يروى اليوم وهو هزيل فقد روّجوه .

فشأنه شأن العظماء . في كل عصر وفي كل امة لكنه مع القرآن .

آفاق قرآنية انطلق فيها علي (ع) :

واتخذ علي (ع) له نهجا جديداً ومنطلقا قرآنيا في خطبه فكان القرآن هو الرافد الذي أمده فكرة ولفظا واسلوبا (١) وما قولنا في رجل كان يهتف في آله « الله الله بالقرآن لا يسبقكم الى العمل به غيركم (٢) .

فكان هو السباق الى هذا القرآن . والأخذ منه .

وماذا تقول في رجل سباق الى المكرمات وهل سبقه غيره الى هذا القرآن والاغتراف من بلاغته . وإدراك اسراره ؟ وهو الذي مدح القرآن مدحا مناسبا ودعا الأمة الى الالتزام به .

(١) وصية الامام علي (ع) عند وفاته . راجع نهج البلاغة باب وصاياه .

(٢) فكلام علي له رافده وعنه أخذ فلا عجب لو تكلم بهذا المستوى فهو عن القرآن تكلم ومن القرآن استمد صوره فهو ذو طابع قرآني .

وماذا تقول في رجل ادرك المعاني القرآنيـــة كلها ادراكا صحيحا (١) وافرغ تلك المعاني بقوالب من كلام . هو قالها وصاغها وهي شبيهة بآيات القرآن وقوافيه وكانها مقاطع صوتيه ذات موسيقى وايقاع مؤثر .

فكان القرآن شـاهده في قوله وحجته ودليله وكان القرآن سميره في خلواته وانيسه في محرابه وفي اصدائه في المأذنة داعيا نيام القوم للنهوض ليلا (٢) وهذا هو منهج ابي الحسين (ع) النهج القرآني وهو له وحده وهنا ـ علينـا ان نلفت ذهن القاريء .

(١) وادراك الواقع القرآن الذي لم يستطع غيره الوصول اليه وعرف اسباب نزوله والمناسبات وبذلك اختلف علي (ع) عن غيره ففيره حفظه دون الوصول اليه ولكن عليا (ع) ادركه ووعاه واحس به احساسا . وفرق بين قولنا فلان احسّ بالواقع القرآني وبين قولنا ادرك الواقع القرآني ووعاه وتذوقه وهو (ع) فقد تجرع الآي القرآني وارتوى واخذه آية آية وسورة وسورة .

(٢) وعلي (ع) صديق السيف يحمله ساعده في سوح القتال وهو البكاء في محرابه وهو ذو الابتسامه اذا قابل الأبطال وهو في ترنيمة العبّاد وفي تهجّد النساك وهو الذي يرتجز الا راجز الحربيّة تذهل ابطال العرب .

اذا كان في القرآن جمال في الكلمة . وفي الكلمة القرآنية موسيقى وعذوبة ورنة واعجاز . فتلك الكلمة نقلهـا علي (ع) ووضعها وضعاً جديداً واستعمالا جديداً لم يبعد عن ذلك الوضع وذلك الأستعمال (١) .

واذا كان القرآن من حيث هو آيات . بينات وآيات الكتاب لا ريب فيها : واذا ادركنا ان القرآن اعجاز . فكلام علي (ع) فيه ذلك الأعجـاز القرآني . وتلك الأيات لانـــه ارتفع الى

(١) والكلمة العربية بعد صحة نسبها وورودها . وتحدرها بعد ذلك ندرك ان ولها وضع ولهاعدة استعمالات مختلفة . وعدة معان متباينة ـ فقد يكون لها معنى قديم . ثم نقل الى معنى جديد وقد يكون لها معنى عربي ومعنى اسلامي مستحدث نتيجة الارتقاء والتجديد الفكري فتغيرت دلالتها ومؤداها . فالمعاني تتجدد في كل عصر وهذا ما يقال له التطور المعنوي ـ فيكون للكلمـــة معنيان معنى عربي . ومعنى اسلامي . او معنى حقيقي ومجازي ، او معنى اولي ثم استحدث معنى جديد عند المسلمين في عصورهم الاسلامية يختلف عن ذلك المعنى الذي كان عند العرب من قبل ويكون للكلمة عدة استعمالات . لدواعي ومناسبة وجهة شبه . كما يدرك ذلك عند مراجعة القاموس .

مستواه حقاً . !

ولا يمكن لبشر . اعطي القدرة الفنية والملكة في الأداء والصولة البلاغية لا يمكن له ان يصوغ ـ كصياغة علي (ع) ولا يمكنه ان ينطق بما يشبه القرآن شكلا ومضموناً .

ورغم هـذا التطور الأدبي ورغم هـذا الأنفتاح ـ في النقد والفكر الأدبي . والأتساع في الـذوق العربي المعاصر . وتعدد المدارس الأدبية وتطور البحوث في البلاغة رغم ذلك فما جاءنا الناثرون والخطباء والنقاد بما جاء به ابو حسن (ع) من قوله الشبيه بالقرآن اذن لماذا قدر هذا واستطاع ونطق وغيره بعد ولم يرتق الى هذا المرتقى الرفيع ؟ ويتوقف صحة هذا القول ـ على الرجوع الى ماورد لعلي (ع) من كلام ودراسته ومقارنتـه بكلام غيره من الخطباء والأدباء والنقـاد ـ وهنا يظهر صحة رواية الحديث النبوي « علي مع القرآن والقرآن مع علي » .

وهنا قد تسأل عزيزي القارى « ـ عن اللغة والأستعمال في مدرسة علي (ع) فاللغة عربية والكلمة عربية حقاً (١) .

(١) والحقيقة هي الحقيقة من قبـل ثم استحـدث المعنى المجازي وهنا نقول قد جاء في كلام علي (ع) عدة كلمات هي عربية النسب والولادة والوضع ولكن القصد والاستعمال والمعنى لم يكن =

وعلي (ع) لم ينطق بلغـــة جديدة . . ولكن الاستحداث والأنتقال هو في المعاني القرآنية والى دائرة القرآن .

فنجد الكلمة الواحدة ـ الواردة في القاموس العربي والتراث القديم . كان لها معنىً ووجدنا في كلام علي (ع) استعمالاً جديداً (١) وهو المعنى الذي اراده وقصده القرآن . ولكن علياً (ع) وضّح ذلك القصد للسامع ليكن على بصيرة من امره فقد وجدنا علياً (ع) في لغتـه لم يطوّر ولم يخرج الكلمة الى معنى آخر يختلف عن المعنى القرآني وانمـا قصد ما قصده القرآن فالمعنى الحقيقي المقصود للقرآن هو ذلك المعنى المقصود لعلي (ع) واستعمل

= هو ذلك الذي كان عند العرب وانما نقلهـــا واستعلمها في معانى جديدة قرآنية ـ وهي من خلق الشرع وارادتـه ـ وهو المعنى الشرعي وبه جاء القرآن » .

(١) فيكون عندنا معنيان للكلمة الواحدة ـ وكلا المعنيين : هما في المعنى الحقيقي ـ او يكون عندنا حقيقتان حقيقة عربية ـ وحقيقة شرعية ـ وهي الوضع او الاستعمال مستند للشرع ـ والأمام علي (ع) في وضعه واستعمالاته هي قرآنيـة لم تخرج ولم تتعد القرآن ولم يبتعد في استعماله عن القرآن ! !

ما استعمله القرآن (١) .

وابقى ذلك للمعنى الحقيقي القرآني ونسج حوله نسجاً بلاغياً مقبولاً . فاللغة والمعاني في لسان علي (ع) كلها عن القرآن ومع القرآن . فعلي مع القرآن وحول القرآن كان وسيبقى هو مع القرآن حتى في لغته وكلماته ومقاصده وشواهده وخطواته نحو الأقتراب اليه وتقريب الأنسان الى واقعه .

فهو اكثر الخطباء والمفسرين استشهاداً به وكلاماً فيه . وهو الطابع العام لمدرسته (٢) ولا تعجب في ذلك اذا رأينا علياً

(١) وكلمات علي (ع) وضعاً واستعمالاً ودلالة هي كلمات رنانة لها ايقاعها كلمات مشرقة فيها هدى وفيها اشارة للأنسان. وللسامع . وكلمات علي (ع) تختلف عن كلمات غيره بصداها ووقعها وموسيقاها واجوائها ، والكلمة المقبولة المشرقة ـ ذات ثمن قرآني « مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة » .

(٢) لم نجد في تاريخنا الأدبي ـ في الخطابة ازدهارها والمراسلات . والمتكلمون الاذكياء . ولا في تراجم الصحابة والتابعين ولا في العصرين الأموي والعباسي . وحتى في عصرنا الذي تطور فيه الأدب وتأثر واقتبس ـ لم نجد أديباً تأثر بالقرآن كعلي (ع) في لغته واسلوبه وافكاره . وهي من اقتباسات علي (ع) من محيط القرآن .

يردد تلك المفردات القرآنية في خطبه وحديثه ورسائله . فاذا نطق فاكثر كلامه قرآن ولا يقرر امراً ويقصد شيئاً الا وكان القرآن منه في لسانه للصلة النفسية بينه وبين هذا الكتاب وحدثت هذه الصلة منذ طفولته ويوم التحق سباقاً الى الأسلام فغذاه الرسول (ص) آياته كلها .

عرفت علياً (ع) اماماً في اللغة القرآنية والبلاغة العربية علي ذات وفكرة ـ ماذا يهدف اليه الامام علي (ع) ؟؟ علي (ع) كان يقول ويؤكد في اقواله ويحاول الوصول الى هدف واذا قال : فأقواله دالة على افكاره وافكار علي (ع) من وحي القرآن (١) . ومقتبسة من واقع الشريعة .

وكلها ذات هدف اوسع من عصره ومن زمانه وكلها من اجل هذا الانسان . ليحقق نوراً في الطريق وسعادة في الحياة وكلها اشراقة خير في طريق هذا الأنسان فقد ارتقى علي (ع) تفكيراً

(١) وفي علي (ع) قدرة نفسية لأستحضار الأفكار من الواقع ونفس علي منها قدرة على ادراك الواقع وهي من معطيات علي (ع) والتي شارك بها الرسول (ص) في رسالته « رواية ابن عباس عن النبي (ص) اعطاني الوحي واعطى علياً (ع) الألهام » بحر المعارف ص ٣٩١ .

وتوصل الى مرحلة قد لا يرتقي اليها حتى الصحابـــة الموفقون الحائزون على الدرجات السامية .

فصار (ع) حاوياً لاسرار هذا الكتاب ويـدل على ذلك ما صدر عنه من تصريحات فقد احاط بها ونبه الذهنية الى ان في القرآن علوم . وفي القرآن ينابيع وفي القرآن رموز . وفي القرآن ثروة ذات جوانب مختلفة .

علي (ع) أسم يختلف عن الأسماء (١) ونفس وطاقات لو فجرها لأغنت الانسان . « وآيته في ذلك نهج البلاغة » الذي يقوم في اسس البلاغـة العربيـــة في مايلي القرآن من اسس وتتصل به أساليب العرب في نحو ثلاثـة عشر قرناً فتبني على بنائه وتقتبس منه ويحيا جيد في نطاق من بيانه الساحر ».(٢)

(١) لعلي (ع) اكثر من اسم . فيعرف في الحروب حيدر - ويعرف بعلي - وهو علي ومن هو اعلى منه ويعلو عليٌ لانه كان خطيباً او كان حاملاً سيفه او كان ذا قربى للرسول (ص) او صهراً له او كان صحابياً او كان أبا للحسنين (ع) ! !

(٢) جورج جرداق : علي وسقراط ص ٦٨٤ .

كان اسم علي رمزاً للابطال ونخوة الرجال في قيامهم وقعودهم واندفاعهم وعليٌ اسـم رباعي . وفيـــه احتمالان . الجمود =

« ويستمر قول الأفكار في نهج البلاغة فاذا انت امام حشد منها لا ينتهي . وهو مع ذلك لا يتراكم بل يتساوق ويترتب بعضه على بعضٍ . ولا فرق في ذلك بين ما يكتبه (١) عليٌ وبين ما يلقيه ارتجالاً . فالينبوع هو الينبوع (٢) » .

« ففي خطبه المرتجلة معجزات من الأفكار المضبوطة بضابط العقل الحكيم والمنطق القويم . وانك لتدهش ، امام هذا المقدار من الأحكام والضبط العظيمن ، حين تعلم ان علياً لم يكن ليعد خطبة ولو قبيل القائها بدقائق او لحظات . فهي جائشـــة بقلبه منطلقة على لسانه عفو الخاطر لاعنت ولا إجتهاد كالبرق اذ يلمع

= ولاشتقاق من علا علواً وقيل عليّ (ع) صفة معناه رفيع ومصدرها الرفعة ومعناه الرقي . وهو معنى قوله تعالى « العليٌ العظيم » وهو في الكتاب لعلي (ع) . وقوله تعالى « هذا صراط عليّ مستقيم » سورة الحجر (٤١) .

(١) جورج جرداق علي وسقراط ص ٦٨٥ .

(٢) ولعلي عدة رسائل - مختلفـة - من حيث الكم . ومن حيث الاسلوب ومن حيث اللغة ومختلفة من حيث الدوافع والغايات وهي تصور . لنا علياً بحالات مختلفة . ونفسية مضطربة بين رسالة وأخرى . فقد كتب عليه السلام لولاته . واتباعه . وشيعته وكتب لاعدائه ونشطت حركـة الرسائل في عصـــره بين على ومعاوية . وهي رسائل بلغة حارة تصور بطولة الحق .

ولا خبر يأخذه او يعطيه قبل وميضه كالصاعقة إذ تزبجر ولا تضيء نفسها لصعق وزبجرة و كالريح إذ تهب فتلوى وتميل وتكسح وتنصب على غابة ثم إلى مداورها تعود ولا مايدفعها الى ان تروح وتجيء ، الا قانون الحادثة ونطق المناسبة في حدودها القائمة لا قبل ولا بعد (١) .

وهنا دخلنا في حديث جديد ـ قد يكون ادعاءاً ولكن علينا ان نضع هذه الاسئلة قبل الاجابة عليها .

اولاً : بأية لغة خطب علي (ع) وباي اسلوب كان كلامه وباي مستوى من الأفكار كان يضع الكلام للاخرين ؟

ثانياً : علي (ع) خطيب وكاتب ومتحدث ومتفلسف . فاين تعلم ذلك ـ الخطابة كتابة لرسائل ؟

ثالثاً : لمن كان يخطب وعلى من كان يرسل هذه الخطب ؟ هل خطب على العوام البسطاء من الناس او كان له مستمعون يفهمون ما يقول . اذن هل حقق أغراضه او لم يحقق غرضاً من اغراضه ؟ وهل خطيب يلتهب حماساً ام هو يقول وليس هناك من يسمع او او يطبق او يمثل قوله ويحقق له طلباً (٢) .

(١) جورج جرداق علي وسقراط ص ٦٨٦ .

(٢) قد نقرأ من خطب علي ان شعبه كان متمرداً عليه يقابله بالعصيان والعقوق وعدم الالتزام ولذلك اكثر من ذم =

وقبل : الأجابة علينا ان نتحدث عن مدرسة علي (ع) وآثارها .

مدرسة علي (ع) وآثارها ونتائجها :

ونقدم بين يديك نماذج علمية تخرجت من مدرسة علي (ع) عرفت بالعقيدة (١) والأخلاص والمعرفة والعقلية ـ والوعي . .

= هؤلاء وذكر معايبهم ووصفه بالشقاق . والتفرقة والغدر وعدم التمييز ! !

(١) وكان علي (ع) يجلس بينهم . لا يرتفع ولا يتعالى ـ يجالسهم متواضعاً ، ويتحدث معهم احاديث مختلفة . واحاديث علي (ع) كثيرة .

اما احاديثه العلمية لو جمعت لملأت الدنيا وعياً علمياً . ولعلي (ع) احاديث عن الشمس والقمر ، وعن الليل والنهار ، وعن الأرض والسماء ، وعن الحرارة . والهواء . وعن النبات . وعن تركيب اجهزة الانسان وحتى عن الحيوان . ونموه وتكاثره فقد ارتحل علي رحلة ذهنية الى العوالم الاخرى قبل غيره . راجع البحار المجلسي . السما والعالم . هذاهو علي (ع) الأمام . وهو علي البطل وهو البكاء في محراب العبادة . ومن الناس من يجادل في علي بغير علم =

والبطولة .

وهذه النماذج : هم تلامذة علي (ع) واصحابه وثقاته .

الأصبغ بن نباتة	زيد بن صوحان
الأحنف بن قيس	سهل بن حنيف
اويس القرني	سليم بن قيس الهلالي
جعدة بن هبيرة المخزومي	صعصعة بن صوحان
جرير بن عبد الله البجلي	ضرار بن صامت
رشيد الهجري	طارق بن شهاب
طرماح بن عدي بن حاتم الطائي	ميثم التمار
ابو الاسود الدوئلي	محمد بن ابي بكر
عبد الله بن عباس	المسيب بن نجبة
مالك الأشتر	ابو بريدة الأزدي
عثمان بن حنيف الانصاري	حبة العرني
عبد الله بن ابي رافع	
عطاء بن رياح	حبيب بن مظاهر الأسدي
قيس بن سعد بن عبادة	نوف البكالي

=ولا حجة ولا كتاب ولا إحاطة علمية ويعيش التقليد والاتباع العشوائي فمتى يفيق هذا الانسان ليميز بين الدر والحجر ، وبين علي (ع) وغيره وبين الصادق والكاذب والعالم والجاهل .

مولاه قنبر	حبيب بن عمر
القثم بن العباس	حجر بن عدي الكندي
كميل ابن زياد	عمرو بن الحمق الخزاعي

هذه النماذج الخيرة من مدرسة علي (ع) وقد رحب علي بكل سائل منهم ومن غيرهم . او يعتزل عوام الناس ويخرج بمجموعة من طلابه الى ظهر الكوفة ويتحدث معهم باحاديث هامة (١) : ـ

« سأل كميل امير المؤمنين » .

ما الحقيقة ؟

فقال عليه السلام مالك والحقيقة . قال : اولست صاحب سرك قال : بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح مني » (٢) وكان علي (ع) يأخذ جانب التربيـــة قبل التعليم وجانب التهذيب والأرشاد وصقل العقليات « ويقول لتلميذه نوف » .

(١) بحر المعارف ص ٢٦٤ .

(٢) فقد لعب دوراً في نشر الثقافة الاسلامية وكان موفقاً في ذلك فنشر من العلوم الاسلامية . وغيرها راجع كتابنا الامام علي (ع) والعقلية العلمية . لتدرس .

ماذا تكلم به علي (ع) وماذا نشر من افكار .

هل ترى يانوف من شيعتي؟ الذبل الشفاه الخمص البطون . الذين تعرف الرهبانية في وجوههم رهبان بالليل واسد بالنهار الذين اذا جنهم الليل ابرزوا على اوساطهم وارتدوا على اطرافهم وصفوا اقدامهم وافترشوا جباههم تجري دموعهم على خدودهم يلجأون الى الله في فكاك اعناقهم .

واما النهار فحكماء علماء كرام نجباء ابرار اتقياء . الى ان قال (ع) : يانوف شيعتي من لم يسأل الناس ولو مات جوعاً ان رأى مؤمناً اكرمه وان رأى فاسقاً هجره هؤلاء والله شيعتي » (١) .

وعلي هو الاستاذ الأمثل والمعلم الواقعي برحمة . وصدق (٢) وهو الذي لعب دوره في بلورة الافكار الصائبة . وهو الذي خلق حركة فكرية وهو المرجـــع وهو الذي غذاها وهو الذي خلق مدرسة وهو انشأها واقامها وأمدّها وغلغل العقيدة في نفوس طلابها

(١) بحر المعارف ص ٢٥١ .

(٢) ولعلي (ع) أحاديث كثيرة مختلفة وهي تشبه بدروس ومن احاديثه عليه السلام مع سلمان الفارسي يقول :

« وعندنا علم الف كتاب ـ وقال (ع) ياسلمان ان الشاك في امورنا وعلومنا كالمفتري المجتري في معرفتنا وحقوقنا بحر المعارف ص ٣١٣ » .

وغسل اذهانهم وهو الذي رعاها واشرف على طلابه . ومدرسة علي (ع) لها منهاجها ودستورها وهو القرآن واليه ترجع . وهو مرجعها . وهو دليلها . في القول والفعـــل والسلوك والنصح . والتربية . ويرى علي (ع) ان التربية والاعداد الخلقي قبل العلم وقبل الاستعداد له هو (١) الأستعداد لغسل الذهن وبلورة الرغبة

وهنا يضع علي (ع) حقيقة جديدة امام المربي « ليس كل العلم يستطيع صاحب العلم ان يفسره لكل الناس لأن منهم القوي والضعيف ولأن منه ما يطاق حمله ومنه ما لا يطاق حمله الا ان يسهل الله له حمله واعانه عليه من خاصة اوليائه (٢) .

ويضع علي (ع) حقيقة ثانية ذات اهمية اما المربي « لا تحدث الناس بما لا يعلمون فيطغوا ويكفروا إن من العلم صعباً شديداً حمله لو حملته الجبال اعجزت عن حمله ان علمنا اهل البيت يستنكر ويهمل ويقتل رواته ويساء الى من يتلوه بغياً وحسداً » (٣) .

(١) راجع كتاب الامام علي (ع) والعقلية السياسية . للمؤلف تطلع على اللغـــة السياسية التي تكلم بها علي (ع) وهي اللغة الملتهبة اللغة المؤثرة في السامع .

(٢) بحر المعارف ص ٢٦٢ .

(٣) بحر المعارف ص ٢٦٣ عن النعماني .

وهنا نقطـــة ثالثة لا تفوتنا اذا قرأنا كلام علي (ع) وجدناه لغة مزدهرة . وعلماً يتوقف ادراكه على عقلية (١) واسعة فهل عاش علي (ع) في عصر يزدهر من العلم والعلماء والمفكرين ؟ كما يظهر ذلك من خطبه وأقواله ؟ وماذا ادرك علي (ع) من القرآن ؟

وهل ادرك علوم القرآن ونشرها ؟ وهل تذوق القرآن اكثر من غيره ؟ وتوصل الى حقائق قرآنية اكثر من غيره لم يدركها المفسرون وعلماء المسلمين في العصور الاسلامية ؟

وهل كان علي (ع) يخطب على مستوى رفيع من العلماء كما نجد مصطلحات علمية دقيقة ام كان يطلق كلامه للناس . وفيهم العالم وفيهم العوام (٢) . وفيهم من لا يرى للعلم ثمناً

(١) وفي خطب علي (ع) مسائل علمية مختلفة لا يدركها الا ذو منطق علمي وعقلية واسعة ـ مسألة التوحيد ـ فلسفة الحشر والمعاد . فلسفة الوجود . فلسفة العبادة واسرار الطاعة . فلسفة الزهد وبيان واجب الوجود بادلة منطقية ـ كان لها اثرها في نشأة علم الكلام ! !

(٢) فقد ورد في سيرة علي (ع) انه كان يؤثر علي السامعين اثراً محسوساً وورد عكس ذلك كان يقول ولا يسمع قوله فكيف ؟ =

وللعلماء قدراً ، كما نرى في خطبه آلامه، وانه ذلك الانسان الذي يعيش في مجتمع المنافقين فهو العالم الذي عاش بين جهال عصره » . بين من يحمل المعتقدات والموروثات الفكرية والرواسب الجاهلية وبين الانسان المتنفذ في قبيلته .

هل سمعت عالماً ينادي قومه . ساوني . . غير علي ؟ ! ولو عاش علي (ع) في غير ذلك المجتمع وولد في هذا الزمان لكان هو اعلم البشرية حقاً وعلي(ع) كان يكرر من قوله«سلوني قبل ان تفقدوني» (١)

= وبيان ذلك مجالس مختلفة ومستمعون مختلفون ! والمناسبات كثيرة . فقد يحصل هذا وذاك . وقد شاهدنا في حياتنا الأدبية خطباء مختلفين . اما علي (ع) فقد كان في كلامه اثر ويختلف هذا الأثر والتأثير ـ ورغم اختلاف المجالس من حيث الدوافع والقابلية ـ والاقبال على الاستماع ! ! !

(١) ما وصل الينا من كلام علي (ع) هو نسبة قليلة بما هو مفقود لان كلام علي (ع) بقي مختزناً يروى عن الذين سمعوه وحفظوه . « وقد بقي المأثور عنـه ـ ع ـ محفوظاً في الصدور وجارياً على الالسنة ينقله السلف للخلف ويرويه الخلف عن السلف حتى حل عصر التدوين فانتشرت خطبه ورسائلـــه » محمد جعفر الحكيم الالفاظ القرآنية ص ٥٦ مجلة النجف السنة الأولى .

من سأله ومن طلب منه بياناً عن السماء . وعن الفضاء . وعن الاجرام الأخرى ؟ ومن كان كذلك يسأل ؟ ! وهو الذي كان يتحدث عن نفسه وعما حواه من علم ومعرفة بكتاب الله وما استلهم من علوم قرآنية .

وهو الذي يصحر بطلابه إبتعاداً عن العوام ويخلو بهم مرارا ويعتزل الغوغائيين السذج ليتحدث بلغة تتناسب وهؤلاء الخواص من طلابه وكما فعل مرارا (١) ليلاً ونهارا وحدثهم ورووا لنا تلك الأحاديث . وبذلك عرفنا المستوى العلمي عند علي (ع) .

وقد يتخذ من ساحة المسجد مجلساً له ويجول مع جلاسه باحاديث علمية ذات مستوى رفيع .

(١) وهذه احدى الفعاليات التي كان يقوم بها علي (ع) ايام خلافته فهو في السوق . او في الطريق . او في ساحة الحرب . او بباب المسجد . او في داره هو مدرسة نشرت الفضائل . ولذلك وجدناله كثرة مروية من الكلمات القصار والأجابات . والخطب وهذا لا يثبت لعلي (ع) فضيلة جديدة . وحتى لو قلنا ان علياً على كلامه ثوب من جمال وحلاوة في اللفظ . وقابلية وانه قرآني النزعة والفكرة ـ فهو علي ذلك الامام ـ امام الخطباء ـ وامام في اللغة ـ ولكن كيف يرهن لنثبت ذلك ؟

وعند الرجوع الى التاريخ لمعرفة المساحة للمسجد ومقدارها وما هو العدد الذي كان يجلس في تلك الساحة لرأينا سعة المسجد ورأينا عدداً يقدر بالآلاف . فكان يضم عدداً ليس بقليل ـ يمتلأ بالناس ـ ويقدر عددهم بثمانين الفاً .

ان هؤلاء كانوا يحتشدون حول منبر علي (ع) وتتزاحم الرجال حول منبر ابي الحسين (ع) يصغون اليه ويلتقطون كلماته الرنانة تلك الكلمات ذات الوقع . تلك الكلمات القرآنية . يشبه بالتآلئي المضيئة .

وصوت ابي حسن (ع) يشق الفضاء وله صداه . وهو يلعلع بين جدران المسجد فهو الخطيب الواقعي يدعو برحمة وحنان وعطف (١) . يهز الناس هزاً وتستجيب له النفوس رقة ورحمة وتذوقاً . فسمعوا قوله وحفظوه ورووه لنا وما وصل الينا هو

(١) وكثيراً ما سمعنا وقرأنا للأخرين من اقوال ولم نلمس تلك الواقعية ـ كما وجدناها عند علي (ع) واضحة ، وفي كلام علي (ع) الشفقة والحنان على مستمعيه وهذا ما وجدناه في كلام ابي تراب وبهذا يفترق عن الخطباء من قبل ومن بعد . وهو القائل اني قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ الانبياء بها امهم . . هذا هو علي الواعظ ! !

القليل وما لم يصل فهو الكثير المفقود الضائع (١) .

ولو رجعنا الى خطب علي (ع) لوجدناها تنقسم الى نوعين مختلفين .

نوع يفهم بغير تكلف . فيه جمال وبلاغة ويدركه القاريء من غير استعانة بقاموس لغوي .

ونوع آخر وهو الخطب المغلقة . فيها طابع علمي ومصطلحات قد تكون مسموعة وغير مستمعة (٢) .

ونجد فيها طابعاً قرآنياً واحاديث . عن الكون وعن الجاذبية وعن

(١) تأثير علي في السامعين . وهذه من خواصه (ع) فليس كل من وقف خطيباً أثر في نفوس المستمعين او اقبل عليه الحاضرون بالاستماع والأصغاء . وليس كل من ارتجل الشعر او انشده اثر على السامعين . ولكن ما روى عن علي (ع) من تأثيره . على السامعين ـ أمر متواتر : فقد كان لكلامه اثر » بالبكاء . الألم والندم والسكوت والأصغاء ...

(٢) وخطب علي (١) باللغة المناسبة الشائعة في عصره ولكل زمان لغة ولكل مقام مقال . وعلى الخطيب والمتكلم معرفة السامع ومستواه الفكري وعليه ان يحيط بمستواه النفسي حتى يستطيع ليوصل المعاني الى ذهن السامع ويدخل المفاهيم والحقائق باللغة واللغة ماهي الا واسطة لنقل المعاني من المتكلم الى السامع .

كروية الأرض وعن خلقة السماء وعن نهاية الكون وعن واجب الوجوب وهذا هو الاعجاز في كلام علي (ع) .

وهذا النوع من كلامه قد نقول ما استطاع العقل الذي كان في عصر علي (ع) استيعاب معرفة هذا العمق .

ولا كان يخوض بمثل هذه الاجواء وان علياً كان يخطب على نوعين من البشر . او على عقليتين :

أ ـ عقلية عربية حجازية النشأة .

ب ـ عقلية غير عربية تحمل رواسباً . قديمة نزحت الى المحيط الاسلامي واستوطنت فيه وهي تحمل رواسب قديمة .

وقد ادرك المفسرون خطب علي هذا الطابع في خطبه العراقية . والبساطة في خطبه الحجازية (١) . وعلي (ع) لم يكن يخطب على مجتمع من البسطاء فقد سكن الكوفة العربي والفارسي المسلم .

(١) ومدرسة علي (ع) في الخطابة ـ وحسن الأداء والطابع القرآني الملوس . ومدرسته لها وجودها قبل غيرها من المدارس وما اكثر الخطباء قديماً وحديثاً . وقد غالى مؤرخو الادب بهم واعطوهم المستوى الأدبي واطنبوا فيهم ووقفوا عندهم الوقفة الطويلة واعطوهم ما لا يستحقون من الاطراء والثناء . واغفلوا مدرسة علي في الخطابة !!!

وكان علي (ع) يضع اقواله وكلماته حسب مقتضيات المقام وهو الذي اختبر نفوس شعبه وعرف عقلية مستمعيه وتكلم بلغة العصر وفي شعبه الحفـــاظ والنقاد والمتكلمون وهو يرق الأعواد معلناً بقوله « سلوني قبل ان تفقدوني » (١) .

(١) ويقوم اليه ابن الكوا تارة . وذعلب وغيرهم من المشعوذين ويتقدمون اليد بنماذج من الأسئلة ياعلي ارنا ربك ؟ وكيف تعبد رباً لا تراه ؟ قال اتراني اعبد رباً لا اراه » .

وهذا نموذج من خصوم علي (ع) .

اما خصوم علي الذي رأيناهم وشاهدناهم في عصرنا اليوم فكثرون اذا برهنت له بالقرآن لا يأخذه ولا يؤمن بصحة الحديث النبوي في حقد وقد عاصرنا بعضاً من هؤلاء وجالسناهم وجادلناهم وروينا لهم الاحاديث النبوية وقلنا لهم ان محمداً (ص) هو الذي عرفنا علياً وقد عرفنا علياً بحديث (ص) النبي وهو يؤمن بالكتاب ويقدس المصدر الفلاني ويرجع اليه ولا يأخذ به فاذا قلنا ان هذا الكتاب نفسه روى فضائل علي توقف لا يستطيع العمل بالرواية ولا يستطيع رفض الحديث وبقي متأرجحا بين الرفض والأخذ وسبب ذلك لانه نشأ ونما على العداء والابتعاد وعدم معرفة آثار علي (ع) ومنزلته فأخذ بعدذلك بتأويل الاحاديث النبوية والتماس معاني بعيدة وبعيدة جداً.

وكان الشعب خليطاً مزيجاً بين عقليات وفلسفات وعناصر بشرية مختلفة رغم هذا كله وكان الشعب ينفعل ويتأثر بالهوبة او إشاعة او فعلة من افعال حكام العصر وشياطين ذلك المجتمع وماذا تقول في شعب يتأثر بخديعة يقوم بها معاوية وحاشيته لغرض هو قصده فيرفع المصاحف ـ ويتأثر جيش علي ! ورغم ذلك الخليط فقد استطاع علي ان يربى مجموعة في مدرسته . وتخرج منها هؤلاء ذوو قدرة على حسن الأجابة والخطابة وهم يشهدون بانهم اخذوا ذلك من ابي حسن (١) .

ونبغ الخطباء والحلقات في المساجد وتحدثوا للناس . ورووا حديث ابي حسن علي (ع) للآخرين .

وكل هؤلاء انطلقوا من مدرسة علي (ع) البلاغية المدرسة القرآنية : وكان خطباء عصره يشهدون ويعترفون وعلي (ع) جمع في

(١) قدرة علي (ع) على حسن الأداء والقدرة على الارتجال انما هو نتيجة تأثيره بمدرسة الرسول (ص) فالرسول خطيب قدير . وقد تعلم علي (ع) من الرسول كل شيء . وان الرسول علّم عليا كل مسالك الحياة . . ومنه اقتبس وعلى نهجه سار وخطب الرسول (ص) في قمة البلاغة العربية ، وحضور علي (ع) واستماعه له كان له الاثر .

كل خطبة قرآناها . بين الاسلوب العلمي والأدبي (١) .

وحيث علمنا سابقا ان عليا بالقرآن ذو صلة اكثر من غيره .

فالقرآن جمع بين الأسلوب العلمي تارة وبين الأسلوب البلاغي الساحر .

وكم وجدنا بين خطب علي (ع) والسور القرآنية من تشابه واقتراب .

وكم وجدنا في خطب علي (ع) من دعوة انسانية لتهذيب الطبيعة البشرية . برحمة وعطف .

١ ـ ولو جمع كلام علي بقاموس . ودرست الكلمات التي

(١) وتعلم علي (ع) من الرسول ديباجة الخطبة والمقدمة والعرض والتوضيح والوصول الى الغرض . والخطبة عند الرسول مناسبة . وحسن المناسبة . وصياغة علي (ع) مناسبة وصناعة القول والشاهد القرآني . واللغة المناسبة والأخذ بعقل السامع الى اللامحسوس . والى عوالم فكرية ولعل قوله عليه السلام علمني رسول الله الف باب شاهد والخطابة في المدرسة الاسلامية والعصر الأسلامي . باب مستقل وكان الرسول (ص) خطيباً وهو الذي سحر العرب وهم امراء البيان وفحول الخطابة ـ وعلي (ع) هو تلميذ مدرسة الخطابة الاسلامية واذابه خطيب لا يدانيه خطيب في عصرنا وفي عصره هذا هو علي (ع) .

نطق بها ـ امير البيان ـ فلم تجد في قاموس علي (ع) . الظلم . والقسوة والاجحاف . والشدة والعنف . والاحتقار وانما تجد الرحمة والرفق والأنسانية ـ والأبوة ـ وانه ناصح . وانه رائد الخير لهذا الأنسان ! !

٢ ـ ولو قرأت مجموعة من خطبه (ع) بعقلية مؤمنة . وبروح مطمئنة . لعرفت علياً (ع) معرفة جديدة .

فتجد الآي القرآني هو الذي يتردد على لسانه . وسيرة الأنبياء وترجمة الرسول (ص) وتوضيح الشرايع والرد على المتطفلين في عصره .

وتجد البلاغة والبيان العربي (١) وتجد اللغة المقبولة وتجد

(١) وحقا ان عليا امير الخطباء . وسيدهم . وحقا إن إمارة الخطابة لعلي وحقا لو قرأنا له ولغيره من خطب وجمعنا نماذجا من خطب غيره من خطباء عصره لرأينا عليا في القمة وهو اميرهم وسيدهم وهو امامهم وهوالذي لا ينطق خطيب اذا حضر علي (ع) . كما صنع ذلك اكثر من خطيب . راجع خطبة علي (ع) الا « ان اللسان بضعة من الانسان » فهناك مناسبة لطيفة لخطيب الكوفة جعدة بن هبيرة المخزومي حيث ارتج عليه ولم يستطيع الكلام لان عليا كان جالسا في مجلسه ! ! فلو قارنا =

التفكير الفلسفي وانه هو الذي فتح الباب ، وتجد الأفكار الواسعة المجردة من التعصب والعنف وتجد علياً ينطق بالقرآن بعصره بصور جديدة وافكار واضحة : وتلاوة تنسجم وعصره . وتجد عليا يتجلى بين يديك في ذلك الأنسان الذي قتلته الآلام والتخلف الذي كان يعيشه المجتمع . . وخطب علي (ع) هي المرآة التي تعكس نفسية علي بما كان في تلك النفس من مشاعر وآلام وندرك بان عليا هو الأنسان الذي ظلمه شعبه . وان عليا هو الانسان السياسي الصابر الذي لم ـ يجزع وهو القائد الذي تمرد عليه جيشه .

وهو يدعوهم الى كتاب الله بصدق وأمانة . هناك فاسمع قول هذا الانسان ! يقول عليه السلام في الخطبة الشقيقية (١) :

= بين ما روي لعلي (ع) وما روي لغيره من الخطباء الذين ذكرهم مؤرخو الأدب العربي ـ في الخطابة في العصر الثاني واغفلوا خطب علي وروائع ابي حسن ـ وماهي الا معاجز في في البلاغة العربية ! ! !

(١) في كلام علي انعكاس وابراز صور نفسية . واخراج قطع من اللهيب الذي يعيشه علي (ع) في داخله وما كان مختزنا في خلاياه من آلام كلها موجودة في كلام (ع) .

« فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب منها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت ان الصبر على هاتا احجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا ارى تراثي نهباً » (١)

وماذا أدركت في هذه القطعة العلوية الناثرة ؟!

ماذا وراء هذا النص وما هي نفسية هذا الانسان .

وماذا كان عليه وماذا يحمل علي ؟ حقاً : انه الانسان الزاهد بالمنصب وهو الانسان الصبور على الشدائد ومواجهة الزمان وقسوته !! (٢) وكان واجه تلك المحنة وتلك الشدة

(١) ابن ابي الحديد ج ١ ص٩٥ نهج البلاغة ١

(٢) ذلك هو علي (ع) الذي عرف الاسلام وآمن به ودافع عنه وصبر من اجله وفهم الشريعة ونشرها ويكفي علي (ع) شاهداً ما صرح به الرسول في (ص) حقه والرسول شاهد صادق . وما جاء في حقه (ع) لا يمكن طرحه وعدم الاخذ به لأنه صحيح ولا نستطيع طرح كل الاحاديث النبوية لأن رواتها ثقاة فهي حجة وهي دلالة تثبت عظمة هذا الرجل انه الرجل المؤمن قبل غيره، والسباق قبل غيره . هو علي (ع) . أليس كذلك ؟

وذلك الأنقلاب ؟

وكيف عاش تلك الفترة بعد محمد (ص) فقد كان انساناً طاوياً كادحاً . . فبقى وفي عينه الرمد وفي حلقه الشجا وليس في نفسه طمع يدفعه الى تولي المنصب والجلوس على الكراسي . صبر ويده جداء وهو في طخية عمياء وهو في سحابة مظلمة .

هذا مقطع زمني من حياة علي !! (١) سكت وفي لسانه الف لغة ، سكت وفي قلبه الف جرح .

فكان علي مدرسة الصحابة وهو المرجع وكان يتردد عليه الصحابة بعد وفاة الرسول اذا توقفوا في جواب مسألة ، فهو ذو إحاطة واسعة بآفاق الشريعة وباعجاز القرآن ، فهو المفسر وهو المتحدث وهو الحاكم في النزاع وهو القاضي وكان بابا مفتوحاً يرحب بالصحابة وهو عندهم الكوكب . وهو ذو فضل

---

(١) وحياة علي ما هي إلا مجموعة سنين وشهور وايام وكلها مليئة بالاحداث وكلها منبهات والام وكلها اختزنها علي(ع) في قلبه الجريح المشحون الذي تنازعت عليه حوادث الايام وتعاقبت عليه عوامل وحتاً . لو صرح قائلا « فصبرت وفي الحلق شجى وفي العين قذى » .

وقدرة واسعة بعد الرسول (١) وقد ادرك الصحابة ذلك (ص) وعرفوا ان علياً : الرجل الذي قرأ القرآن

الرجل الذي سلك مسلك القرآن

الرجل الذي تكلم باللغة القرآنية (٢)

الرجل الذي دعا الى القرآن

والرجل الذي ادرك واقع القرآن واطلع على اسراره قبل غيره وعرف ما انزل على ابن عمه(ص) اكثر واوسع من غيره .

واذا قلت لك ان علياً(ع) استفاد من القرآن اكثر من غيره.

---

(١) هذا هو الامام علي(ع). كان حسن المنظر جميل الصورة كان رجلاً اصلعاً شكيلاً . ذو وجه يجذب من رآه . ويعجب من اقبل عليه . وذو حديث مقبول للسامعين وذو صوت مؤثر . وكان مؤذنا ومنادياً امام جيشه بالدعوة للسير والتقدم كان مهاباً في في مجالس الصحابة. اذا اقبل عليهم انصتوا له اجلالاً انه علي(ع)!

(٢) العروبة في كلام علي(ع). علي هو العربي ولادة ونشأة ولغة وافكاراً واسلوباً . والعروبة الأصيلة حقاً هي في كلام ابي حسن علي(ع) ورغم ذلك اذا قرأنا خطبه لم تخلو من ذكر العرب وحياتهم قبل الاسلام . فهو الذي ترجم العرب موطناً ونسباً وحضارة وتقاليداً وقومية. وما كان لهم من دور . وكأنه عاش حياتهم ودوّنها في كلامه !!

وتأثر به اكثر من غيره وقد تطالبني باكثر من دليل لاثبات هذه الاستفادة وهذا التأثر وقـــد تسأل هل كان علي يقرأ القرآن بقراءة تختلف عن قراءة الآخرين ؟ او انـه كان يقرأ القرآن كما كان غيره من الصحابة يتلوه

وهل كان علي يملك قرآناً يختلف عن هذا القرآن الموجود المتدارل عند الصحابة (١)

---

(١) القرآن الذي قرأه علي والصحابة هو القرآن الذي نقرأوه اليوم .
ولكن علياً يختلف كثيراً عن الصحابة . وقد تسأل عن ذلك كيف تكونت لعلي هذه القدرة وهذه الملكة على هـــذا البيان والاحاطة العلمية بالقرآن دون غيره من الصحابة . والصحابة وعلي(ع). قد عاشوا جميعاً في نفس المدرسة وفي ذلك المسجد وعند الاستاذ والمعلم ـ هو محمد (ص) وكلهم في محيط اسلامي واحد ـ وكل له صلة بالقرآن . فلماذا اختلف علي(ع) عن الجميع؟ والاجابة عن هذا السؤال باختصار .علينا ان ندرس نفس علي(ع). ومستواه في الذكاء والصحبة الخاصة والملازمة الكثيرة والصلة الروحيـة بينه وبين الرسول(ص) وما حصل لعلي ما لم يصحل لغيره ـ وهو القائل (ع) تعلمـون بصلتي من رسول الله (ص) بالقرابة القريبة وهو الذي قال « زقني رسول الله زقاً » فحصل لعلي من الاشباع والأخذ والاقتباس والأحاطة » .

لا نملك دليلاً على ذلك لكنه بطبيعة حياة علي(ع) انها تختلف عن حياة الآخرين وانه استمع اكثر من غيره من مدرسة النبوة وعرف اسباب النزول كلها .

وعرف المحتوى القرآني

وادرك الاعجاز القرآني العميق الذي لم يدركه غيره (١)

وعرف تفسيراً خاصاً له هو وكان يحمل في ذهنـه معـان قرآنية قد لا توجد عند غيره .

وكان بطلاً من ابطال البيان العربي .

والبطولة عند علي تختلف كثيراً عند غيره . .

وقد نبغ في عصره وقبل عصره وبعده ابطال وهم دونه(٢)

---

(١) والاعجاز الذي ادركه علي(ع). يختلف عن الاعجاز الذي ادركه الآخرون . من المفسرين . فقيل في القرآن اعجاز فلسفي واعجاز علمي . وفي القرآن رموز لم يتوصل العقـل الى حـل هذه الطلاسم القرآنية وفي القرآن حقائق واسرار ولكن عليا اكثر دراية من هؤلاء وخير شاهد ما جاء في خطبه (ع) .

(٢) اذا رجعنا الى الحضارة العربية لندرس البطولة والرجولة في العصر الجاهلي عند الانسان العربي· فانها تختلف كثيراً عن البطولة والرجولة في العصر الاسلامي وخير نموذج وشاهد .هو الامام علي(ع) هو البطل اينما كان فهو بطل، وهو الفارس، وهو السيد وهو الانسان .!!

اما اللغة العربية عند علي (ع) فهي تختلف كثيراً عن اللغة عند الآخرين.

وخطب علي (ع). حقاً . هي ديوان العربية . فقد دوّن لنا المفردات العربية المتداولة في السان العربي . وان تركنا استعمالها نحن . وبعبارة اخرى ما وجدنا في كلام علي (ع) كلمة غير عربية الوضع والاستعمال .

وما تكلم علي (ع) بكلمة غير قرآنية الدلالة هذا لأن علياً (ع) عربي في لغته . وقرآني في اسلوبه وبيانه .

ونتساءل مع المشككين اي كلمة جاءت في لسان علي (ع) وهي غير عربية او لا وجود لها بالقرآن نصاً او مضموناً !

وقد حاول خصوم علي زرع التشكيك في هذا الكلام المروي له بان خطب علي ليست عربية العصر الذي عاش فيه علي (ع) وبين هذه الخطب وبين العصر اختلاف من حيث المصطلحات والمفردات والمعاني والافكار . هكذا قال هؤلاء ! (١)

---

(١) هؤلاء حاولوا فصل كلام علي عن عصره ، وانه ليس وليد عصر عاش فيه الامام علي (ع) وانما هو كلام يتناسب مع عصور اخرى لاحقة عصور متأخرة لما فيه من مفردات ومصطلحات لم تكن في عصر علي وولدت بعده ولكن اذا قسنا ذلك مع القرآن ادركنا انها لعلي لا لغيره !!

ونقول لهؤلاء ان عليا (ع) رئيس مدرسة قرآنية وانا واياكم على هدى او على خطأ. فاذا كان في هذا الكلام المروي لعلي ليس فيه كلمة لا وجود لها في الآي القرآني ولم ترد في لسان الرسول (ص) فهي ليست لعلي قطعاً (١)

وما وجدنا ذلك في خطبه . وقد وجدنا عكس ذلك بل وجدنا اسلوباً ولغة ودلالة وبياناً عربياً يسير وفق منهج قرآني .

وعلي والقرآن لا يفترقان لا بالشكل ولا بالهدف ولا بالمفردات !

---

(١) وقد تسأل عن البيئة التي عاش فيها علي . فتعالى معي الى البيئة التي صقلت عقليته منذ طفولته فقد احتضنه الرسول ورباه منذ ايامه الأولى . وعاش في المحيط العربي وألف اللسان العربي الذي كان سائداً عند قريش وشرب السور القرآنية واقتبس من الحديث النبوي فماذا ترى ؟ اذاً مثل هذا الفرد الذي تناوبت فيه عدة مدارس وصاغته واعظمها مدرسة النبوة فالرسول استاذه قطعاً وهو رعاه وناغاه . وحدثه وساره وغذاه . وكل ما كان عند علي (ع) فهو من الرسول (ص). وقد كان علي (ع) يفتخر بذلك « انا اخو رسول الله ووارث علمه » افاذن كان الرسول (ص) هو الاستاذ وتبدأ هذه الرحلة الطويلة مع الدعوة الاسلامية فماذا يكون علي! واذا كان التلميذ علي (ع) فكيف يكون الاستاذ (ص)! وكيف تكون المدرسة!!

ولكنهم لم يعلموا ان عليا والقرآن في لغة واحدة · وفي خط واحد
اذن فليتراجع هؤلاء المشككون المتقولون .(١)

وليدرسوا عروبة القرآن دراسة جديدة ويقارنوا بين كلام علي(ع) وبين الآي القرآني لغةواسلوبا وصناعة،وكل ماجاءفي القرآن من اساليب وبيانية جاءت في خطب علي (ع) هي الأخبار.الاستفهام الحكاية التعجب . الاستدراج . التعجيز.الأقرار .الاغراء الفن القصصي · الزجر . التقريع . التشبيه . الذم . المدح . الاستعارة الكناية القسم . الاثبات . النفي السجع . والاحتجاج. الادعاء المدعي والمدعى عليه هذه هي اساليب القرآن ·

وكلها تكلم بها علي عليه السلام (٢)

(١) نشأة الشك في كلام علي(ع) وبدايته . انما هو في عصور متأخرة . وكان كلام علي هو الشاهد والدليل الذي يتردد على لسان احفاده من اهل البيت وكان كلام علي رواية على السن الرواة في العصرين الاموي والعباسي ولم يكن احد يشك فيه فلو كان كلاما موضوعا عليه لتحامل خصوم آل البيت عليهم وكان سلاحا لهم ولو كان منتحلا لردوا عليهم ولم يأخذوا به ولكن الشك ولد في عصور متأخرة.

(٢) والقرآن هو الرافد الدافق الغني بالعطاء العربي ومنه اقتبس النحاة والبلاغيون شواهدهم ولولا القرآن وآياته لم يستطع علماء البلاغة وغيرهم استخراج مسألة واحدة . ولم يكن علماً يقال له البلاغة والبيان والبديع !!

مصادر علم البلاغة العربية
القرآن ومدرسة الامام علي(ع)

ما ورد في القرآن من فصول بلاغيـــة هو بحق الأساس والمأخذ لعلم البلاغة .قبل استقلاله وظهوره كعلم مستقل بين علوم اللغة.

وما ورد في كلام علي(ع)من مسائل بلاغية هي بحق خير شاهد قوي لمسائل علم البيان والبديع (١)

(١) علماء البلاغة اغفلوا ثروة عربية في كلام الرسول (ص) وكلام الصحابة والخلفاء وكلام علي(ع)حقاً ذلك . وهل درس علماء البلاغة كلام علي(ع)وكلام غيره وكل ما قيل في عصر نزول القرآن ؟ وهل قارنوا بين كلام علي وكلام غيره ليدركوا القوة والضعف ؟ وهل تنبه علماء البلاغة الى بلاغة علي وانها مدرسة قرآنية مستقلة لها وجودها وانها جمعت الفنون والاساليب العربية القرآنية كلها . وانها مدرسة والحق ان يرجع اليها هؤلاء العلماء ولكنهم التمسوا قول العربي البدوي ودونوه واعتبروه شاهداً ودليلاً · واهملوا كلام ابي حسن(ع) كما رأينا ذلك عند القزويني والسكاكي والتفتازاني والزجاجي - والجرجاني - وقد اجمع الكل انه ابلغ العرب !!!

فقد وجدنا في كلام علي (ع) كل ابواب البلاغة العربية ومسائلها وحقاً لو قلنا ان عليا (ع) ذو فضل في كونه نشر اللغة وما فيها من جمال وهي مدرسة بلاغية عربية وكلام علي (ع) مدرسة عربية وخير شاهد على عروبة علي (ع) . وقد وضع الشريف الرضي قيمة بلاغية لكلام علي (ع) وعروبة علي (ع) وقدرة علي البلاغية يقول : رحمه الله بعد ذكر قطعة من كلام علي « اقول ان هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وبعد كلام رسول الله (ص) كل كلام لمال به راجحاً وبرز عليه سابقاً » . وما جاء بلسان علي (ع) من اساليب بيانية

١ ـ الترادف . يقول عليه السلام «الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون» فالحمد والمدح والشكر . والثناء كلها مترادفة اختلاف في اللفظ واتحاد في المعاني .

واذا قلت حمدت فلاناً . على فضله، ومدحته على اكرامه واثنيت على فلان. فهي بمعنى واحد . .

يقول ابن ابي الحديد «الذي عليه اكثر الادباء والمتكلمين ان الحمد والمدح اخوان، لا فرق بينهما تقول : حمدت زيداً على انعامه، ومدحته على انعامه وحمدته على شجاعته، ومدحته على شجاعته، فهما سواء، يدخلان فيما كان من فعل الانسان وفيما ليس من فعله » .

وهنا نرجع الى كلام علي (ع). « الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ».

فهل هناك فرق بين الحمد والمدح (١)

ولعل عليا هو الذي وضع الفرق بينهما وإلا لأصبح تكرار بلا فائدة . واعادة بلا تأسيس جديد ! !

والمنهل الذي رجع اليه علي (ع) واغترف منه هو الآيات القرآنية وتأثر علي (ع) حتى في وضع الكلمة القرآنية ونسجها ونظمها وتعدد مداولها . . وهذا ما وجدناه في كلام علي وهو الذي وجدناه في الآيات القرآنية ولكن التساؤل هل في القرآن استعمال مجازي (٢) . وهل في القرآن كلمات مختلفة في معناها . وهذا ما اتعب علماء التفسير وفقهاء اللغة وهنا يقترب علم التفسير الى اللغة العربية حقاً، والمفسر «الواعي» بحاجة الى قدرة لغوية يفسر القرآن لغة واسلوباً وبلاغة واستعمالا .

---

(١) ابي الحديد ج ١ ص ٥٨ .

(٢) وقد الف ابي عبيده معمر بن المثنى التيمي المتوفي سنة ٢١٠ هـ كتابه مجاز القرآن درس مجاز القرآن في كل آية ورتبه على السور .

ثم استقل علم التفسير وعلم البلاغة القرآنية (١) فاذا علمنا ان القرآن جرى على سنن العربية . وفيه استعمالات عربية من مجاز وتشبيه واستعارة . واشتراك لفظي ومعنوي . وكلها عربية . فلذلك احتاج المفسر الى ان يفهم اللغة والبلاغة، ويحيط بالحديث النبوي والا يقع بالخطأ قطعاً والمفسر قد يأخذ بالمعنى المجازي واليه يذهب والا لوقع في شبهة او يقع في الكفر ـ فقوله تعالى ويبقى وجه ربك»، وقوله تعالى« اينما تولوا فثم وجه الله » ومنا يجب الذهاب الى المجاز ولكن علياً (ع) سبق المفسرين في الحديث عن اسرار القرآن و بإعجازه

الاعجاز المقصود في الحديث النبوي ؟

الحديث ذو جانبين مختلفين :

أ ـ علي (ع) مع القرآن .

ب ـ والقرآن مع علي .

وقبل الدخول فى الحديث ومصادره(٢)

(١) واصبح علم اعجاز القرآن علماً مستقلا . ألفت فيه عشرات المؤلفات منذ القدم وحتى يومنا هذا . حاول هؤلاء دعم القرآن وبيان اسراره واعجازه . .

(٢) رواه السيوطي الحافظ في الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٦ «علي مع القرآن والقرآن مع علي حتى يردا عليّ الحوض عن ام سلمة » ورواه المجلسي في البحار ج٢٢ وذكره القمي في السفينة ج٢ ص٤١٤ » .

«عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله يقول إن عليا مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض » (١) .

ونتساءل :

هل قال الرسول في غير علي ! كما قال وتحدث عن علي (ع) الظاهر انه لم يرد . ولم يسمع(٢) واذا قيل او ادعي في ذلك فهو من الموضوعات قطعاً ، لأن السيرة هي تثبت وضع الحديث وقد يقول خصوم علي (ع) ومن في قلبه مرض. وفي نفسه تعقيد بانها مختلفة ! وهناك قسم من المثقفين يتوقفون في الاحاديث النبوية. خصوصاً في حق علي(ع) ويدعي بالوضع والانتحال .

وهناك ثلاثة انواع من البشر :

١ ـ قسم يرى ان الاحاديث موضوعة كلها فلا يأخذ بحديث واحد.

(١) القمي عباس. سفينة البحار ج٢ ص٤١٤ نقله عن المجلسي ج٢٢

(٢) لأن علياً اكثرهم ملازمة له (ص) وقد اشار الى ذلك حديث سليم بن قيس الهلالي عندما سأله فقال(ع):ـ وليس كل اصحاب رسول الله(ص) كان يسأله عن الشيء فيفهم وكان فيهم من يسأله ولا يستفهم حتى كانوا ليحبون ان يجيء الاعرابي فيسأل رسول الله . وانا كل يوم دخلت عليه وكل ليلة دخلت عليه فيخليني فيها ادور معه حيث دار وقد علم اصحاب رسول الله(ص) انه لم يصنع ذلك باحد من الناس غيري ـ الحديث ـ احقاق الحق ج١ ص١٢.

٢ ـ وقسم آخر يـذهب ان الاحاديث قسم منهـا موضوع وقسم آخر صحيح ولا يعرف هذا وذاك . ولا يميز بينهما .

٣ ـ وقسم ثالث يصدق ماروي في غير (ع) علي ولا يأخذ بماروي في علي (ع).

واذا درست سيرة الرجال منـذ الصـــدر الأول حتى العصور الأخرى اللاحقة لأدركت ان هناك إبتعاداً ومخالفة وعدم اقتراب الى القرآن ! اما علي فسيرته شاهد ة له مع القرآن .

لماذا صرح الرسول والحديث النبوي لا بد ان يكون فيه إعجاز وداعي وخصوصية كانت في علي دون غيره من الصحابة(١) وانا لا اقول

(١) وكل الصحابة. وإن اختلف اسلامهم . في الزمان والمكان كلهم واكب نزول القرآن. ولكن عليا (ع) بمستوى قرآني . جعله يدرك ابعاد آياته المختلفة وكلام علي (ع) خير شاهد على ذلك فهو يعكس لنا ابعاد القرآن العامة . التربوية والسياسية . والتشريعية والاخلاقية وكان محورها ومصدرها هو ذات علي ونفسيته . فهو مع القرآن حقاً . وهل سمعت او قرأت عن علي سئـل عن آية وتردد في الاجابة ـ كما وقع لغيره من الصحابة كثيراً !! فعلي والقرآن . في وجوده وعلي والحق في القصد. وفيه قال الرسول (ص) « علي مع الحق والحق مع علي اللهم ادر الحق معه حيث دار » رواه القمي عباس سفينة البحار ج ٢ ص ٢٨٩ رواه عن البحار ج ٢٣ فاذا كان القرآن هو الحق من ربك فعلي هو الحق وعلي الحق والى الحق دعا .

ان الرسول الاعظم لم يمدح صحابته الكرام . فقد اثنى على اكثر من واحد . كما مدح عليا (ع) مدحه على الشجاعة ومدحه على العلم ومدحه على الايمان والوفاء والاخاء ونقول . هل كان علي كذلك. يستحق المدح دون غيره وهل كان احد يماثله بذلك او شاركه بذلك او كان علي (ع) فوق المدح وهو الذي يستحق هذا المدح النبوي دون غيره لأنه اهل لذلك وهل مدح الرسول غير علي (ع) بهذه اللغة وهذا الثناء !؟(١) والجواب لا بد ان يكون في علي (ع) ما هو غير موجود فيه وموجود في غيره !!

وقطعاً لا يريد الرسول في قوله «علي مع القرآن والقرآن مع علي» لا يقصد المعنى الواضح البسيط !! الذي يدركه حتى العامي الساذج . إن علياً مع القرآن . انه يقرأ القرآن . او يفسر القرآن (٢) او يرجع اليه او هو من الحفاظ للقرآن او يتلوه او يرجع اليه

(١) يقول فيه (ص) « علي يزهر في الجنة ككواكب الصبح لاهل الدنيا » رواه السيوطي الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٦ .

(٢) فهل فسر علي القرآن ؟ وردت روايات كثيرة وعليها استند المفسرون للقرآن وهي تبين لنا قـدرة علي واحاطتـه في القرآن دون غيره . ذكر هذه الروايات للمفسرون الذي اعتمـــدوا على الحديث النبوي وما ورد عن آل البيت (ع) راجع مجمع البيان تفسير البرهان . والتبيان . وتفسير النجفي وغيرها . من كتب التفسير

في امور الدنيا والدين فقد يشاركه غيره من الصحابة بهذه الفضيلة . فقد يكون ابو ذر مثلا مع القرآن وحقاً هو كذلك انه لم يخالفه ولم يصدر منه ما هو خلاف القرآن او خرج على إرادة القرآن. واكثر الصحابة كانوا كذلك اذاً ماذا قصده الرسول في علي؟ ! ولابد ان يكون معنى خاصا في علي دون غيره لا يشاركه غيره فيه !

ما هو ذلك المعنى (١) الذي اراده الرسول وقصده قطعا الرسول ادرك ان في علي فضيلة ليست في غيره من الصحابة . وقطعا ان كثيراً من الصحابة . عرف باقترابه نحو القرآن فهو من القراء والحفاظ للقرآن .

وما هو جواب السؤال التالي هل مدح الرسول صحابيا بعشرين حديثا تروى عنه ؟ كما مدح عليا(٢) وماذا يمدح الرسول عليا ؟ وهل مدحه لأنه

---

(١) ما ورد عن الرسول (ص) في حق علي(ع) كثير وكثير . وما ذكر من الفضائل لعلي (ع) كثير وكثير. وعلي(ع) مجموعة فضائل والكلام . والخطاب ومدح القائلين له لا يزيده علواً فوق علوه فهو علي في قمة الفضائل واذا قلنا علي بطل او خطيب اوعابد او صحابي او مع الحق او مع القران فهو علي .. ولو قلنا ان عليا(ع) هو السباق ـ او ذو فضل في البقاء على الصورة والوجود الاسلامي فذلك هو علي (ع).

(٢) يقول فيه (ص) « علي اصلي» وقال (ص) علي مني وانا من علي رواه السيوطي في الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٦ .

اقرب الناس اليه وهناك اقارب له. وكثيرون وليس من شأن الرسول (ص) ان يمدح اقاربه لأنهم اقارب والحق يقال انما مدح عليا(ع) لأنه ذلك الانسان الوفي والانسان الصبور والرجل الذي ثبت في سوح القتال والسيوف فوق رأسه ووقف وشبح الموت امام عينيه ووقف مجاهداً يوم فر القوم عنه هذا هو علي(ع)! وهو الذي قال فيه الرسول(ص)« علي مني بمنزلة رأسي من بدني » رواه السيوطي الجامع الصغير ج ٢ ص ٥٦

وان كان علي(ع) عرف من بين الصحابة انه اكثرهم علما واوسعهم إحاطة واكثرهم قدرة على تفسيره وهذا يدركه كل من درس سيرة علي(ع) (١) وقطعا انه معنى لم يرده الرسول(ص) وانما اراد غير ذلك . اذن فهل اراد الرسول (ص) معنى آخر .

ما هو اذن ؟

فهل يكون المعنى المقصود للرسول(ص) هو ان(ع) عليا والقرآن بينهما إفتقار وعدم استغناء وان عليا مفتقر للقران في شؤونه العامة والخاصة والقرآن مفتقر لعلي(ع) في تطبيقه وتنفيذه وتوضيح إرقامه للأخرين؟

---

(١) وكل من درس الصحابة ومستواهم وثقافتهم . ادرك ان عليا(ع) كان اوسع الصحابة علماً وكان هو المرجع للصحابة وقد رجعوا اليه اكثر من مرة . وكان هو الحكم في اكثر من قضية ومسألة . وسؤال ومشكلة .

ليس هذا هو المقصود قطعا . انما قصدالرسول(ص)غيرهذا . فقد يكون الرسول(ص)يضع عليا (ع) والقرآن في كفتي ميزان وانه لا رجحان لهذا على الآخر ولا تفاضل بين علي والقرآن من حيث الأحتواء والدراية لأسرار الشريعة(٢)وهناك احاديث نبوية في علي رواها(ع)الصحابة وتحدثوا بهالأنهم سمعوهامن الرسول(ص) وهذه الاحاديث مختلفة في لغتهاودلالتها.ولكن كم الاحاديث الواردة

---

(١) ومدرسة علي(ع)في التفسير لها وجودها في كتب التفسير وعند اخذ ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وقد أعتمد المفسرون على اراء سعيد بن جبير وابن عباس راجع الطبرسي في مجمع البيان . والصافي . والبرهان للبحراني .

(٢) لأن عليا(ع)نبغ في عصر نزول القرآن وتغذى كثيرأمن وحي الرسالة ومعين القرآن فلا عجب اذا قال ابن ميثم البحراني « فاعلم ان كلامه (ع) يشتمل على مباحث عظيمة تتشعب عن علوم جليلة يحتاج المتصدي للخوض فيه وفهم ما يشرح منه بعد جودة ذهنه وصفاء قريحته الى تقديم ابحاث تعينه على الوصول الى تلك المقاصد ـ ابن ميثم البحراني ص ٥ مقدمة شرح نهج البلاغة .

في علي (ع) خاصة ؟ .

لا نستطيع الاجابة على ذلك وهي احاديث ذات دلالات واضحة على عظمة علي (ع)وعلو منزلته وقد صدرت عن الرسول (ص)في مواقف . ومناسبات . ودواعي . سمعوها ووعوها . واخفاها قوم آخرون . وهذا الحديث واحد من مأة من الاحاديث . فكأن في الرسالة معجزتان خالدتان. «القرآن المعجزة ».وعلي(ع)الذي حواه وعرفه « معجزة ثانية » .

ولكن هناك إعجاز نبوي فيه معنى قد لا يدرك بمجرد التصور والرسول في مقام الثناء . وبيان خصوصية في علي (ع) دون غيره .

ان عليا(ع) لا يستغني عن القرآن ولكن المقطع الثاني من الحديث النبوي اوذيل الحديث«والقرآن مع علي» .. ذو خصوصية هي لعلي وحده إن القرآن لا يستغني عن علي(ع)وماثبت ذلك ابداً ويكون الاعجاز في الحديث النبوي هو في الشق الثاني من الحديث النبوي وهذا امر لعلي(ع)دون غيره من الصحابة .ان القرآن ذو صلة بعلي(ع) وافتقار لعلي(ع).. وسيبقى هذان الثقلان في دائرة واحدة ونرجع الى الحديث النبوي مرة اخرى .

ونتساءل مرة اخرى وبصراحة ماهو المقصود في الحديث«المعية القرآنية»

ومن هو المقصود في الحديث؟ وماذا قصده الرسول (ص) في علي وفي القرآن (١) وما هي تلك المعيّة القرآنية الخاصة بعلي المقصوده بقول الرسول (ص)؟ والرسول في مقام المدح للقرآن والثناء على علي (ع) وكم مدح الرسول (ص) عليا في اكثر من مقام ومناسبة وليس هذا الحديث فقط انما هناك احاديث كثيرة وصحيحة ومذكورة في الكتب الاسلامية. ونحن بين امرين اما الاعراض وعدم الأخذ بها جميعاً . لأنها موضوعة ونقول بعدم صحتها او نأخذ الجميع و كلا الامرين غير صحيح فلا نأخذ بكل الاحاديث ولا نطرح كل الاحاديث ولكن بعد تدقيق تلك الاحاديث وموافقتها للكتاب قد نأخذ بها وقد جمع علماؤنا تلك الاحاديث ودرسوها واطمأنوا لها وعرفوا علياً (ع) معرفة تختلف عن الآخرين .

واذا فسرنا الحديث ان عليا (ع) لا يستغنى عن القرآن فهو شأن الانسان المسلم . فليس علي (ع) وحده وكل الصحابة كانوا يرجعون الى القرآن

(١) ومن الحديث النبوي ننطلق الى وجود صلة بينها . ومعيّة بين الاثنين . فاين تكون هذه المعيّة بين هذين الثقلين ؟ بين علي لأنه يحمل افكاراً قرآنية لم يوفق غيره لها . وقدرته على الوصول لفهم الاعجاز الدقيق في القرآن وهو الذي اطلع على المضامين القرآنية دون غيره وظهرت في كلام علي (ع). وتبين صدق الحديث النبوي !

وهل استغنى المسلمون عن القرآن ؟ وهل استغنى علي (ع) عن القرآن في يوم من الايام او في قضية من قضاياه ؟

ولكن النقطة المركزة هي :

هل استغنى القرآن عن علي واستقل؟ وعلي هو الناطق به والمحيط به الذي ادرك جذور الآية واسرارها اكثر من جميع الصحابة وحتى الخلفاء. وقد يقول خصوم علي (ع) ان هذه الاحاديث وهذه الفضائل وهذه المقامات التي رأيناها وسمعناها . انما هي موضوعة ولم يصدر حديث عن النبي (ص) وهذا قول من لا دراية له ولا احاطة في الاحاديث واسانيدها ولا علم له بالتاريخ او هو لم يطلع على الحضارة العربية الاسلامية ولكن الاعجاز النبوي والأخبار والشاهد الباقي ان عليا في حياته وسيرته مع القرآن والقرآن في كل العصور والأزمان هو بجانب علي واقرب الى علي (ع) .

فعلينا ان ندرك ذلك . !

وعلينا ان نتوصل الى ذلك !

وعلينا ان نرجع الى القرآن وعلي (ع). ونضع الحديث بجانب آخر ونبدأ بالشك وبعد دراسة علي (ع) ودراسة القرآن . اما ان نصدّق بالحديث ونصل الى اليقين او نطرحه في سلة المهملات !!

ونتساءل لماذا اكثر الرسول (ص) المدح والتفضيل لعلي (ع)؟

وصحابته كثيرون وكثيرون . ومختلفون جداً من حيث الفضل ومن حيث المستويات وفيهم من يستحق المدح والثناء وفي صحابته الرجل الشجاع والأنسان الصبور والصحابي الزاهد القانع وفي صحابته السباق الى الخير فهل مدح الرسول (ص) كما مدح عليا ! ولماذا هذا المدح ؟

والجواب عن ذلك ان عليا يختلف عن صحابة الرسول(ص) منذ عصر النبوة حيث ظهرت شخصيته ونمت واثمرت واعطت للآخرين فقد قرأنا لعلي وقرأنا لغيره من الخلفاء فكان علي(ع) يمتاز عن الآخرين بكل ما قال وما كتب وما حكم وما فعل فقد خطب غيره وكتب واجاب . وعلي هو الخطيب وهو الكاتب وفرق بين ما صدر عن علي وغيره . (١)

ورسائل علي (ع) تختلف عن رسائل الرسول (ص) وعن رسائل الخلفاء، وخطب علي (ع) تختلف عن خطب الآخرين « ورسائل علي بن ابي طالب وخطبه ووصاياه وعهوده الى ولاته تجري على هذا النمط فهو يطيل حين يكتب عهداً يبين فيه ما يجب على الحاكم في سياسته النظر الذي يرعاه ويوجز حين يكتب الى بعض خواصه في

(١) ولعلي(ع) خطب ورسائل مختلفة بين مناسبة واخرى وموقف وآخر . فقد يخطب علي(ع) باللغة العلمية ولا يدركها إلا الخواص من الامة ـ واذا وجد جلاسه من العوام اتخذ الاسلوب اللفظي والبلاغة وتكلم بالالفاظ المفتوحة الواضحة .

شيء معين لا يقتضي التطويل » زكي مبارك النثر الفني ج ١ ص ٥٩ . ونتاج علي (ع) يختلف عن النتاج المألوف في عصر الرسول(ص) وعصر الخلفاء اختلافا ملحوظا من حيث الكمية والنوعية. والبداية. واللغة والمضمون وهي رسائل وخطب تدل على بداية حركة فكرية وتجديد في النثر الادبي وكان عصره (ع) بحق من اخصب العصور الاسلامية في الفلسفة . ونشأة القضايا الفكرية المجردة . لأنه عصر اللقاء الفكري بين الحضارة العربية الاسلامية والحضارات الأخرى وفيه بدأ الجدل المنطقي في القضايا الكونية حيث لم يكن من قبل ذلك .وكان علي(ع) هو اول الحركة الفكرية. والجدل بدأ بعلي (ع) وتطور ونما وازدهر (١) ، اما رسائل الخليفة الرابع علي(ع) فانها تختلف في الصياغة وفي الأسلوب عن رسائل الخلفاء الذين سبقوه . بل انها كانت في الحقيقة تختلف عن النهج العام لكتابة الرسائل في ذلك العهد فهي كثيرة الاستعارة بليغة ،

(١) لأنه نشأ نشأة قرآنية وواكب نزول الآيات والفصول القرانية فصلاً فصلاً وسورة بعد سورة وتأثر به وأخذ منه وتحدث عنه ووصفه كثيراً ورصع كلامه بآيه ودعا اليه. نقد وجدنا قرابة بين هما فان كلام الله اتعب المفسرين فاستعانوا باللغة والحديث والاساليب العربية والادب. لغرض فهم آياته ومعرفة اللغة والاحاطة بالاساليب العربية اصبحت مقدمة لادراك اعجاز القرآن اللغوي .

مسجوعة جمعت فاوعت) (١)

ونتساءل مرة ثالثة عن علي(ع) كيف اختلف عن الصحابة ولماذا اصبح وكيف ارتقى وبرز ونبغ دون غيره ؟ والجواب ان علياً(ع) هو الذي استمع للآي القرآني وادرك عصر نزوله شأنه اذن شأن الصحابة ! والاجابة عن ذلك بعبارة اخرى اكثر وضوحاً وصراحة قد حصل لعلي(ع) ما لم يحصل لغيره ووفق له لم يوفق غيره . وارتقى الى القمة ولم يكن غيره يرتقي لذلك .

« وقد توفرت بذلك للامام سبل العلم والاغتراف من بحره المتلاطم محمد (ص) . بما كان يحبوه من الارشادات ويطلعه على اسرار ودقائق المعلومات مع انه كاتبه ومعتمده واميينه وممثله وموضع ثقته فانطبع كتاب الله سبحانه في قلبه فجرى على لسانه وتمثله في واقعه وسلوكه فكان المثال الحي لهذه الرسالة واللسان المعبر عنها » (٢)

---

(١) الحركة الفكرية في عصر الخلفاء الراشدين ص ١٩ الدكتور كمال الدين فريق رئيس الدائرة العربية في جامعة نيودلهي . ط اسعد بغداد .

(٢) الحكيم محمد جعفر الالفاظ القرآنية في نهج البلاغة مجلة النجف السنة الأولى العدد ٣ كلية الفقه ص٥٤ ص ٥٥ .—

ونبغ علي(ع) نبوغ الانسان الملهم بين المتخلفين . واذا هو الشخصية الثانية بعد الرسول(ص) في عصر الرسالة . واذا ذكر محمد(ص) كان علي (ع) هو الانسان الثاني . كالمقدم والتالي . فهذا محمد(ص) وذلك هو علي (ع) .وهنا نقف وقفة المتأمل هل مدح الرسول (ص) احداً كما مدح عليا ؟ولماذا هذا الاختصاص ؟ماهو الجواب . واذا ورد عنه (ص) انه مدح بعض صحابته . فهو قليل وقليل جداً . اما علي (ع) فقد ورد عنه (ص) احاديث تدل على عظمة علي(ع) وهي احاديث صحيحة في كتب الفريقين. ولو جمعت لكانت كتاباً ضخماً والجواب بصدق لا لأن عليا(ع) قريب له وليس كثرة الصحبة والملازمة وليس هو شدة الأقبال وحدة الذكاء والاستعداد الذاتي وهي مسألة من المسائل التي رجعنا بها الى الرسول(ص) في حلها وبيانها ولعل الرسول (ص) هو الذي اجاب عن ذلك بوضوح واراح الباحثين والذين اختلفوا في علي (ع)(١)

---

(١) والحديث النبوي (اعطاني الله خمسا واعطى علياخمسا) رواه النيسابوري روضة الواعظين ج ١ ص ١٠٩ ط النجف . فيه دلالة على ان عليا (ع) رجلاً الهم العلم الهاما وشريك الرسول (ص) في نشر الدين

بين كلام علي (ع) والاعجاز القرآني

وكلام علي (ع) دون كلام الخالق . حقا . . اقول . ولا تغالي في علي (ع) ونحن حرب للغلو ـ والغلاة ـ اللهم انك تعلم ذلك .

وكلام علي (ع) تفسير ودلالة لكلام الخالق حقا : ذلك

وكلام علي (ع) فيه اعجاز وروعة وبيان وبلاغة عربية . وكل ذلك في القرآن .

وكلام علي (ع) لغة واسلوب عربي واساليب مألوفة ومتداولة وشائعة في عصره وبما تكلم .

وفي كلام علي (ع) جمال ادركه النقاد وقوة عرفها البلاغيون (١) وفي كلام علي (ع) عمق لم يدركه المفسرون والشراح بعد هذه الدراسات الكثيرة . وفيه نقطة التقاء وشبه بالقرآن وهنا نتساءل : عزيزي

(١) كلام علي (ع) اتعب الشراح ـ لأن الذي يحاول شرح كلام علي (ع) يعيش في عصر . وكلام علي (ع) قيل في عصر . واختلاف بين العصر الأول والثاني . وعلي (ع) فوق عقلية عصره قطعاً . ولذلك وقعوا في اخطاء وملابسات في تأويل حركات علي (ع) وفعالياته ولعل كثيراً من الجهال وقع بالغلو لعدم هضم معاجز (ع) علي وتفسير قوله (ع) .

القارىء هل استطاع المفسرون توضيح هذا القرآن على حقيقته (١)

وهل استطاع الشراح تفسير كلام علي (ع) بما يتناسب وعقلية هذا العصر ؟ سيبقى كلام الله سراً خالداً مع تطور الزمان وسيبقى كلام ابي حسن روعة واعجازاً وتركيباً بديعياً ومعاني جمة ومنطقاً مقبولاً . واذا حاولنا المقارنة بين هذين النصين العربين .

فقد لا نحقق غرضاً ولم نأت بشيء جديد !

فكلام الله تعالى بلغة عربية تمثل عصر ازدهار ورقي هذه اللغة

١ ـ وكلام علي (ع) نص موروث متسالم روي ووصل الينا بهذه اللغة وبهذا البيان وبهذه البلاغة التي لم تكن إلا في ذلك العصر عصر الرقي والتفتح .

٢ ـ وجدنا في القرآن حقائقاً ومجازات ووجدنا في كلام

(١) وقد حاول علماء التفسير دراسة القران وادراك ما في آيه من معاني واخراجها الى الأذهان فالرازي والزمخشري مثلا فالاول حاول فهم الجانب العلمي والثاني حاول ادراك الجانب الادبي واللغوي او حاول ان يصل الى ذلك واما علماء البلاغة درسوا القران لمعرفة جمال العبارة وحسن التركيب وذهب علماء البلاغة الى ان علم البلاغة علم يعرف به الإعجاز القراني .

علي (ع) ما يحمل على الحقيقة وما يصرف الى المجاز ـ قطعا(١)

٣ ـ كثرت التفسيرات وتعددت مذاهب التفسير للقرآن وهو لا يزال بكر. ومغلق. وبعد لم يفسر. وبعد لا يزال كنز وانما حاولوا تقريبه الاذهان

ووجدنا كتب التوضيح والشروح المتعددة لكلام علي .

٤ ـ ووجدنا في القرآن اعجازاً بلاغياً لا يقارب ولا يستطاع بليغ عربي ان يقوله ـ فهو نثر وليس بنثر او يقترب الى الموسيقى الشعرية وهذا ما وجدناه في كلام علي (ع) بلاغة وبياناً عربياً

(١) والمجازات في كلام علي(ع) كثيرة . ولابد من حمل قوله(ع) على المجاز قطعاً . من ذلك قوله(ع).انا الأول . انا الثاني . انا الظاهر. انا الباطن . وقد ورد في لسانه هذا الاسلوب «انا اناه وقوله(ع)انا الاول لا يريد الاولية بمعناها الحقيقي .والمجاز . . استعمال عربي جاء في القرآن وفي لسان الرسول (ص).وتعلم علي (ع) ذلك من معلمه الرسول وهو الذي غذاه ومنه اخذ . وقد جاءت خطابات كثيرة على لسان الرسول(ص)لعلي(ع)واراد بها المعنى المجازي.ولا يقصد المعنى الحقيقي . لوجود القرينة الصارفة . وقد جاءت خطابات كثيرة في لسان علي(ع)ولا يراد بها الحقيقي قطعا .وانما تصرف الى المعنى المجازي . واذا صرفت للحقيقي وقعنا بالغلو او غيره .

وروعة قاهرة .

٥ ـ ووجدنا في القرآن آيات قاهرات آيات متشابهات آيات مغلقة . ولا نملك مفتاحا . من فكر . اولغة او منطق يستطيع فتح هذا السر للمحكم ! آيات ما ادركها عقل السلف ولن يدركها العقل المتفتح الذي تبلور بالعلوم والتجارب وهذا ماوجدناه في بعض خطب علي(ع)وهي تحمل اسرارا ـ وستبقى مغلقة

٦ ـ في القران كثر فيه وحوله الشك والشكوك وهذا ماحصل بالذات لكلام علي(ع) والشك سهل وبلا سبب والاقناع امر صعب!

٧ ـ والقران ترجم الرسول ترجمة مناسبة له وهو اسبق واول من ترجم الرسول(ص)وهذا ما عثرنا عليه في كلام علي(ع) فقد ترجم علي (ع) ابن عمه المصطفى(ص)وقدمه بصورة مقبولة لأنه اعرف من غيره به (١) .

(١) لأنه استاذه. وخير من يترجم الاستاذ هو الطالب . لأنه اعرف به ولأنه اخذ عنه وروى عنه . وهنا نقطة هامة الطالب هو الذي يدوّن في مذكراته تلك الحياة التي قضاها مع استاذه وهنا نقول فقد يترجمه باخلاص لأنه اخلص له او بوجه آخر لأنه لم يخلص له حقاً ـ ولم ينصح له !

٨ ـ وعلي(ع)ترجم الانبياء في كثير من خطبه وهذا ما جاء في السور القرآنية . فوجدنا في القرآن سوراً قرآنية وفصولاً ترجمت سيرة الأنبياء .وماجاؤا به وما دعوا اليه وما كان في طريقهم.

٩ ـ والقرآن كتاب تشريع وفي القرآن دعوة الى الخلق الرفيع . والأدب الانساني والالتزام الاسلامي (١) وهذا ماكان ينادي به علي(ع) في خطبه ورسائله الانسانية !

١٠ـ والقرآن كتاب جدل وارشاد وبرهنة مقبولة ،وتعريف مناسب، بواجب الوجود . ودعوة الى الاعتراف به عن دليل منطقي (٢) والتعريف بعالم الحشر والعقاب والثواب وما بعد هذه الحياة وهذا ما نطق به علي (ع) كثيراً وعلي هو الذي تكلم في قضايا الامة

(١) راجع كتاب القرآن والعقلية العربية ج ١ للمؤلف .

(٢) فقد وجدنا في القرآن كثيراً من المصطلحات العلمية . من الكونيات وغيرها من المفاهيم العلمية .وقد وجدنا ذلك في خطبه (ع).وهنا يثار السؤال الآتي هل علي (ع) خطب او تكلم او أجاب من سأله بالمستوى العقلي الذي كان هو عليه ام خطب علي(ع) على سامعيه بالمستوى العقلي الذي كانوا هم عليه كما يشترط ذلك في كل خطيب . والاجابة باختصار علي (ع) له عدة خطب ولكل خطبة لغة وفكرة وهدف وهي مختلفة باختلاف المستمعين وعقلياتهم .

العامة وحاول توحيدها . وتكلم في القضايا الانسانية وقدّم لها افضل النصائح . لتكن خير امة اذا اخذت بكتابها .

فعلي(ع) والقرآن في خط واحد وهنا علينا قراءة القرآن وقراءة ما ورد عن علي(ع) من قول لندرك هذه الاسرار وهذا الاعجاز القاهر .

وعلماء البلاغة العربية اعتبروا الرافد الذي استقوا منه اصول علم البلاغة والبيان العربي القرآن . والكلام العربي الأصيل والحديث النبوي . وما ورد عن الخلفاء من قول وفي طليعة من اخذوا عنه ودرسوا قوله هو كلام علي (ع).

واذا رجعنا الى ما جمع من محاسن كلامه وروائع خطبه قد لا نستطيع معرفة ذلك الاعجاز البلاغي الموجود فيها إلا بعد معرفة ودراسة البلاغة العربية (١) ومعرفة الاعجاز في كلام علي(ع) متوقف على الذوق البلاغي .

وفي كلام علي(ع) روائع فوق العقل المعاصر الذي خلق العاجز ولا يستطيع

(١) وكذلك القرآن فان من اراد معرفة الاعجاز القرآني فليدرس البلاغة العربية اولا ثم يقرأ القرآن فانه يدرك ذلك الاعجاز تفصيلا. اما العرب فانهم بلغاء بالفطرة ولذلك اطمأنوا له وخضعوا له وآمنوا به قرآناً سماوياً .

فهم كلام علي (ع) إلا من كان يملك عقلاً علمياً واسعاً وذوقاً ادبياً . وكلام علي(ع) كثير وكثير ومختلف .وله كلام مفقود لم يصل الينا منه إلا القليل . وما هو متفرق في الكتب المختلفة فهو اكثر قبل جمع الشريف الرضي .

« فانتشرت خطبه ورسائله ونصائحه في كتب التاريخ والسير والأدب والمواعظ والدعاء وحاول جمع كبير من العلمـــاء ان يفردوا لكلامه كتباً خاصة وان يهتموا بجمع ما ورد . وصح نقله عنه ولكن اهم هذه المحـــاولات وادقها واحسنها ابواباً ما اختاره السيد الرضي والذي اسماه بنهج البلاغة فاصبح خير اسم يدل على مسماه .(١)

القرآن واثره الفكري والادبي

القرآن مدرسة واسعة . تأثر بها الانسان المسلم وكان في طليعة المتأثرين . بالقرآن هو الامام علي (ع).وليس علي (ع) وحده سمع واستمع للقرآن . وليس علي(ع)وحده قرأ القرآن

(١) الحكيم محمد جعفر الالفاظ القرآنية في نهج البلاغة مجلة النجف السنة الاولى العدد الثالث ص ٥٦ .

وصوّت به جهراً . وليس علي(ع)وحده كان من الحفاظ للقرآن ! فهناك صحابة متعددون ادركوا عصر النبوّة واستمعوا للقرآن عند نزول آياته في مكة والمدينة وخارجها . وعرف بالقراءة والتلاوة .

وهناك شعراء كثيرون تأثروا ادبياً به (١) فلماذا لم يكونوا كعلي (ع)في تأثرهم بالقرآن ؟ .

وكان في الصحابة الخطيب ،والكاتب والواعظ والمحدث،وكثير من الصحابة كان يحتل المنصب الأعلى في المجتمع الاسلامي الواسع .

والى الصحابة يرجع الفضل في نشر الثقافة الاسلامية في البلاد شرقاً وغرباً . فقد هاجر كثير من هؤلاء وكل واحد يشكل مدرسة في الرواية وحوّلوا المساجد من دار عبادة الى مدارس . وكثرت الحلقات (٢) وما قرأنا للصحابة . لم نجد فيه ذلك الطابع القرآني

(١) القرآن خلق عقلية جديدة وافكاراً ومفاهيم في الانسان العربي المسلم،القرآن مدرسة مختلفة استطاعت ان تخرّج وتصوغ نماذجاً من المسلمين ترفّعوا عن البشرية في عقليتهم وسلوكهم انهم خريجو مدرسة القرآن . راجع القرآن «والعقلية العربية» للمؤلف ج ١ ص ١٧٠ .

(٢) الحلقات العلمية - في مسجد الكوفة والبصرة ودمشق—

قطعاً . كما وجدنامي كلام علي (ع) فقرأنا كلاماً للصحابة . كثيراً وعنهم روي واليهم ينسب ولكن ليس فيـه أثر قرآني . او مسحة قرآنية . إلا قليـلا . ولكن ليس كعلي(ع)في اقترابه للقرآن لماذا ؟ وللاجابـة عن ذلك ـ باختصار لأن عليا(ع)كثير الملازمة والتلازم بينه وبين القرآن وعدم الانفكاك عنه.وهوالذي يكثر من تلاوته .

ولأن عليا (ع)اكثرادراكا لعمق القرآن . عرف لغته العربية وجمالها (١) وادرك اعجازه . اكثر من إدراك العلماء في العصور

— وبعدها انتشرت هذه الحلقات الى مدارس اخرى وتفرعت الى مدارس ثقافية وحركات فكرية ومذهبية وجدلية في الحديث في الفقه واللغة والتفسير وقد اسهمت المساجد في البلاد العربية الاسلامية في نشر الثقافة والوعي الديني ونبغ منها علماء لهم الفضل في ذلك .

(١) المروبةعندعلي(ع).فكان(ع)يكثر الاستشهاد في خطبه ورسائله بما ورد عن العرب . شعراً وامثـالاً . او يذكر قولا عربيـاً للعرب القدماء فقد وجدنا في كلام علي(ع) اثرأعربياً لغة واساليباً ومن هذا التراث المروي عنه وجدنا فيه صلة عربية . لتوضيح ما قاله او يدعم ما ذكره لسامعيه لأنه(ع) ذلك الانسان العربي .

المتـــاخرة . (١)

وبذلك شهد الرسول قائلا :

« عليّ افضلـكم .وفي الدين افقهـكم وبسنتي ابصركـم ولكتاب الله اقرأكم اللهم اني احب علياً فاحبه اللهم إني احب عليا فاحبه » (٢) . . هذا حديث من آلاف من الاحاديث النبوية المروية في علي (ع) وقد اتعب علماء الحديث انفسهم في تمحيص هذه الاحاديث وحيث ادركوا صحتها واسانيدها ورواتها اطمأنوا بصدورها عنه (ص) ولو جمعنا ما روي عنه(ص) في حق علي(ع) لاصبح قاموساً للاحاديث العلوية لا لأنه ابن عمه !فالرسول(ص) معصوم من الانسياق وراء العاطفـة والولاء العشوائي للآخرين ـ انما هو علي(ع) ولأنه علي ـ واقول:وعقيدتي ان عليا لا ترفعه النصوص او الاحاديث وقبل المدح هو ذلك العلي وعلي(ع) وماعنده من مواهب وطاقات وقدرات نتيجة . لدراسة معينة . فقدتلقى معلوماته بأذن واعيـة ونفس صافيـة وفهم ثاقب وادراك واسع لاعجـاز القرآن واختزن من اقوال الرسول(ص) واسرار الشريعة

(١) هل ادرك المفسرون ابعاد القرآن ؟ وهل فسرّ المفسرون القرآن او حاولوا تقريبه للأذهان ؟

(٢) امالي الشيخ المفيد ص ١٦ ط النجف .

اكثر من غيره واكثرهم امانة عليه. . بل ودراية به (١)

واستطاع علي (ع) ان يصنف القرآن الى ابواب وفصـــول وفنون . فقد ورد عن علي (ع) كلام وفيه دلالة على قدرته القرآنية وقبل ان يقوم المفسرون الى تصنيف القرآن الى ابواب وبيـان اسراره وعلومه . وبيّن (ع) . الى ان هذا القرآن فيه خبر من كان قبلنا . وفيه حكم . واحكام وامثال وفيـه قصص واخبـار الامم التي سادت وبادت (٢) .

دعوة علي (ع) الى القرآن

وبعد ذلك انطلق علي (ع) داعياً الى القرآن يقول : عليه السلام

« وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم . كتاب ربكم فيكم مبينا حلاله وحرامه . وفرائضه وفضائله وناسخه ومنسوخه ورخصه

(١) وحتى رواية . فكان (ع) يفخر في ذلك . قائلا حدثني « حبيبي رسول الله او يقول (ع) سمعت رسول الله يقول كذا .. او يقول علمني رسول الله (ص) وكان يسارها كثر من غيره . وكان يوحي اليه . وكان يختلي به وكان يهمس في اذنه . وكان يدنيه اليه . .

(٢) راجع تفسير الصافي. ورد عن علي (ع) كلام عن القرآن ومافيه .

وعزائمه وخاصه وعامه وعبره وامثاله ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسراً ومبيناً غوامضه بين مأخوذ ميثاق في علمه وموسّع على العباد في جهله وبين مثبت في الكتاب فرضه ومعـــلوم في السنة نسخه وواجب في السنة اخـــذه ومرخص في الكتاب تركه » (١)

ويقول . . عليه السلام :

« إن الله تعالى أنزل كتابا هادياً بيّن فيه الخير والشر » (٢)

ويقول : عليه السلام

« واعلموا إن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ والهادي الذي لا يضل والمحدّث الذي لا يكذب وما جالس هذا القرآن احد إلا قام عنه بزيادة او نقصان . زيادة في هدىً او نقصان في عمىً . واعلموا انه ليس على احد بعـد القرآن من فاقـة ولا لأحد قبل القرآن من غنىً » (٣)

ويقول . . عليه السلام :

« واعلموا انه شافع مشفّع وقائل مصدّق وانه من شفع له

(١) ج ١ ص ٢٥ ص ٢٩ ابن عبده نهج البلاغة .

(٢) ج ١ ص ٧٩ ابن عبده نهج البلاغة .

(٣) ابن عبده نهج البلاغة ج ١ ص ٩١ .

القرآن يوم القيامة شفع فيه » (١)

ويقول ..عليه السلام :

«الا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن فكونوا من حرثته واتباعه واستدلوه على ربكم واستنصحوه على انفسكم واتهموا عليه آراءكم واستغشوا فيه اهواءكم . العمل العمل ! ثم النهاية النهاية! والاستقامة الاستقامة! . ثم الصبر الصبر ! والورع الورع !» (٢)

ويقول ..عليه السلام :

«والقرآن آمر زاجر وصامت ناطق حجة الله على خلقه أخذ عليهم ميثاقه وارتهن عليه انفسهم أتم نوره وأكمل به دينه».(٣)

وكتب الى الحارث الهمداني :

« وتمسك بحبل القرآن وانتصحه وأحل حلاله وحرم حرامه وصدق بما سلف من الحق » (٤)

وقال:(ع) : وفي «القران نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم

(١) ابن عبده نهج البلاغة ج ١ ص ٩٢ .

(٢) ابن عبده ج ١ ص ٩٢ نهج البلاغة .

(٣) ابن عبده ج ١ ص ١١٠ نهج البلاغة .

(٤) ج ١ ص ١٢٩ نهج البلاغة ابن عبده .

ما بينكم » (١)

وقال عليه السلام في وصيته لأولاده :

« الله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم » (٢)

وقد تسأل لماذا اكثر علي (ع) من الدعوة الى القرآن ؟

ولماذا يبين ما في القرآن لسامعيه ؟ لأن الحاجة دعت الى ذلك فالامة التي فقدت نبيها . ليس لها مرجع وحكم إلا هذا الكتاب .

ولكن ما احوجنا نحن الى الاخذ بكتاب الله فى هذه الحياة المتشابكة المحتدمة . ومتى يتحقق الرجوع الى كتاب الله ونعمل وفق ارادته !!؟ (٣)

الحديث النبوي دلالته ودوافعه

« علي مع الحق والحق مع علي »

كنت اسمع هذا الحديث . وانه حديث نبوي . قلت لعل ذلك موضوع على لسان الرسول ؟!

(١) ج ٤ ص ٢١٠ نهج البلاغة ابن عبده .

(٢) ج ٣ ص ٧٧ نهج البلاغة ابن عبده .

(٣) فكان القرآن هو المرجع في الخصومات والخلافات والمنازعات والمرشد في الامور العامة والشبهات والمشاكل وقد امر المسلمون بذلك . ان يرجعوا اليه لانه « السلطة الشرعية » وحيث ان القرآن فيه آيات متشابهات . واكثره بجمل احتاج المسلمون الى السنة .

وقلت لعل ذلك من قول الشيعة دون غيرهم وقلت في نفسي ان النصوص لا ترفع عليا (ع) (١)

وقلت لعل رواية الحديث في كتب الخاصة. وقفت في هذا الحديث وقفة الشاك المتردد .

وقرأت قوله (ص) «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه اينما دار» عندها ادركت ان القرآن هو الحق، والى الحق يدعو .

فعرفت ان علياً(ع) اقرب الى الحق وادركت علياً(ع) في مسار القرآن ثم رجعت الى كتب الحديث والرواية فوجدت الحديثين من الاحاديث المروية عند الطرفين . ومذكورين في الكتب الاسلامية .

وذكرهما عظماء الصحابة بأسانيد معتبرة ثم رجعت اقرأ سيرة علي(ع) وحياته واقواله وتصرفاته فوجدت ان الحديث ينطبق على علي(ع) دون غيره . وان الحديث نبوي صحيح لان علياً (ع) هو كذلك .

---

(١) نزلت في علي(ع) اكثر من آية وعليه اجماع المفسرين وفي القرآن مفاهيم وعلي(ع) هو المصداق الواضح للقرآن . وعليه حاول بعض المفسرين تطبيق الآيات القرآنية . فهو الانسان المقصود. وهو المقصود في « ياايها الذين آمنوا ، وهو المقصود واولي الامر —

ولانه مع الحق، ولأنه مع القرآن . وان عليا هو الحق . والى الحق يدعو وفي سبيل الحق جازف وتحمل الآلام التي لا تطاق !

وذهب ضحية الحق . وهو القائل : «ما ترك لي الحق من صديق »

وان عليا(ع) هو القرآن، والقرآن لعلي ومع علي، وشاهد لعلي !! (١)

وان عليا(ع) لم يبعد في يوم او في قضية من قضاياه العادلة وكلها مع القرآن .

وان عليا(ع) حاول تطبيق القرآن في الحياة السياسية لسيادة

— منكم » وهو المقصود بالعروة الوثقى وفسرت كثير من الآيات في علي (ع) لانه هو الشاهد والمثال الواضح لها كما فسر قوله تعالى « من استمسك بالعروة الوثقى» في علي - واعتماد المفسرين على رواية . عن كتاب منتخب المناقب لآل ابي طالب ٣٩٨ عن الرضا(ع) قال قال رسول الله من احب ان يستمسك بالعروة الوثقى فليتمسك بحب علي » وهذا تفسير ديني خاص وليد عصور اندثرت وهو التفسير المحدود وعلينا ان نفسر القرآن بفكر جديد. وماوجدناه من آثار انما هو افكار ومذاهب في التفسير الديني

(١) واذا رجعنا لكتب التفسير - الموضوعية - لوجدنا اكثر من آية اعترفوا بنزولها بحق علي(ع) وكان السبب والداعي. وهو بطل المناسبة والصحابي الذي لعب دوره في الصدر الاول الاسلامي!!

المجتمع وراحة هذا الانسان ولكن !

فادركت بتأمل إن عليا(ع) سجّل القرآن على شفتيه منذ صباه وقدادرك الرسول (ص) ذلك منه وصرّح قائلا «علي مع القرآن» وبقي علي(ع) كذلك في كل تصرفاته وفي كل شأن من شؤونه وينطبق بحق (١) عليه قول الرسول(ص) «علي مع القران والقرآن مع علي »

ونهاية هذا المطاف

وهنى قصرت فهي دراسة بايجاز للصلة بين كلام علي (ع) والقران . ومقدار هذا التأثر واسبابه ونتائجه وبعد هذا كله هل ادركنا من هو علي (ع) كأنك مثلي لا تعلم ؟! ولا تستطيع فلسفة هذه الذات اتعلم ان عليا(ع) هو الاسلام! . وهو اللسان الناطق بالرسالة . فهل عرفنا عليا(ع)؟ وكأنك لا تعرف

(١) وهل قال الرسول(ص) في حق غيره ؟ لم يرد ذلك قطعاً . وهذا حديث يتناسب بحق مع علي طوال حياته . ولو ادعى مدعي وجود حديث بهذه اللغة وبهذه الصياغة فهو عنه (ص) مردود لأن الوقوع في الخطأ والهفوات والابتعاد عن النهج القرآني دليل على كذب هذا الادعاء !!

عليا (ع) إلا انه اقرب الناس الى النبوة . واكثر معرفة بابعاد الرسالة من الاخرين . لأنه علي! وعلي (ع) فوق تفكير المفكرين اقول ذلك: لا غلواً ومادمنا ندعي الاتصال بالقرآن وبعلي(ع) روحياً وعقائدياً . فالقرآن هو الكتاب وعلي(ع) هو الامام فعلينا ان نتأثر به في سلوكنا واخلاقنا (١) وعلينا ان نجدد الاتصال بين علي(ع) والقرآن . إن كان هذا الارتباط مفقوداً عندك ـ وحتى انا ! ـ وكلنا تباعدنا . والا . . فما هو ذلك الاتصال ولين هذا الارتباط بيننا وبين القرآن في اخلاقنا وسلوكنا ؟ . أصحيح ما أقول ؟! واذا قصرنا واذا تباعدنا واذا اخطأنا !

فعلينا تصحيح أخطائنا وندرك اين هو الصواب ؟ وعلينا الاقتراب الى القرآن اولاً (٢) ونأخذ به ونسير على نهج علي ذلك

(١) وقد كان جيل من المسلمين كذلك سلوكهم ومنطقهم القرآن وهذه ثورة نفسية بين يديك . لتدرك كيف انت ؟ واليك نماذجا مسلمة تأثروا بالقرآن في سلوكهم ومنطقهم وعقليتهم وهم الذين صاغهم القرآن وصقلهم وتجسد القرآن بعد ما حفظوه ووعوه في افكارهم . راجع القرآن والعقلية العربية ج ١ ص ١٧١ للمؤلف .

(٢) فقد اقترب آباؤنا من قبل وأخذوا واستفادوا والقرآن—

النهج الخالد الموفق .

عزيزي القارىء

وهذه جولة ، في مدرسة علي(ع) ونهجه . ولغته قدمتها بين يديك لتدرك ما يلي :

١ ـ صلة علي(ع) بالقرآن واثر القرآن في لسانه (١)

ـ مدرسة خلقت عقلية جديدة وطبيعة جديدة . ونماذجا خيرة وقد تحدث القرآن في كثير من اياته وفصوله عن طبيعة هـذا الانسان الذي خلقـــه القرآن وتخرج من مدرسته راجـــع القرآن والعقلية العربية ج ١ ص ١٧٤ للمؤلف .

(١) ولا عجب في ذلك . فالفرد رهين المجتمع الذي عاشه وتفاعل معه . واثر المحيط في ذهن الفرد . ومنه يستمد فلسفته وآدابه ولغته . فالشاعر البدوي مثلا الذي عاش محيط البداوة فهو يستمد من واقعه الحضاري البدوي الذي نشأ فيـه فيستمد من هذا الواقع الاجتماعي الذي عاشه ومنه أخـذ مجازاته وتشبيهاته وكناياته واستعاراته لأنه نشأ في هذه المدرسة البدوية وكذلك الفرد الحضاري ـ الذي عاش المدينة ـ فالفرد رهين محيطه فماذا يقال في هذا الفرد الذي ولد ونشأ وعاش في هذا المحيط وفي ذلك العصر؟ فماذا يقال فيه وقد تربى وعايش الحياة الفكرية في المدرسة القرآنية منذ البداية . وتدرّج وشب ونما وشرب وتذوّق هذا الغذاء الفكري . وتلقى الآيات القرآنية آية وفصلا فصلا .؟!

٢ ـ المدرسة التي ربت علياً(ع) وأمدته وغذته .

٣ ـ والعصر الذي عاش فيه علي(ع) ومستواه اللغوي او المحيط الذي تربى فيه علي (ع) واثر النبوة في بناء شخصيته والتفاعل الاجتماعي الذي كان بين علي وغيره .

علي (ع) والقراء والخطباء والمفسرين والمتكلمين .

مدرسة علي(ع) وآثارها فقد كان(ع) رئيس مدرسة لها وجودها ومدرسة علي وطلابها ونتاجها العلمي هل هو ابلغ من خطب بعد رسول الله(ص) ؟

علي(ع) صان اللغة وحفظها من الدخيل علي(ع) تلميذ الرسول (ص) وحامل اسراره . ما هي اللغة التي خطب بها وقال وكتب؟ علي(ع) ذات وافكار، فما هي الافكار وصلتها بالقرآن؟ وهل جاءت مصطلحات علمية في كلام علي؟ هل سبق علي(ع) احد في الاستشهاد بالآي القرآني؟ هل هو اول من اقتبس من القرآن في كلامه ؟ المدرسة القرآنية شكلا ومضمونا في كلام علي (١) فمن اراد ان يدرس بلاغـة

---

(١) وكلام علي(ع)ـ هو التراث العربي ـ الذي يستحق الرعاية والتقديس والرجوع اليه لأنه مصدر عربي . وكلام علي(ع) من حيث التقيم والرتبة البلاغيـة في القمـة لأنه عربي ومجرد من كل دخيل ووضيع وموضوع وان حاول القائلون ان يقولوا إنّ فيه دخيـل وموضوع لأن فيه مصطلحات فلسفية !!

القرآن فليقرأ ما ورد عن علي (ع)لأن علياً استفاد من بلاغة القرآن اكثر من غيره وما ورد عن علي(ع)يعتبر المادةالعربية البليغة . وضع فيها الاساليب العربية قبل ان يقوم علماءالبلاغة الى تصنيفها وقبل ان تنبه هؤلاء الى دراسة ما ورد عن العرب من كلام بليغ.

ولكن علياً(ع)ادركان في القران مادة خصبة وفي القرآن اعجاز خفي . وهو الذي ادركه . وجرى ذلك على لسانه . فكان القرآن يجري على لسانعلي(ع) ولوكنا اخذنا بالقرآن وبعلي (ع) نهجاً لكنا سعداء في الحياةولكن !

البلاغة العربية فى مدرسة الامام علي (ع)

وجدتعلياً(ع) ،علياً في كلماته وبيانه الساحر وهو الانسان الملهم وهو الذي تأثر بوحي القرآن عقلاً وروحاً وبياناً ووجدت علياً(ع)دلالة قرآنيةفي لغته وبلاغته.ووجدت القرآن مطبوعاً في كلام علي (ع) . دل عليه بذاته فهو دلالة واضحة على وجوده .بوجوده وفيه إشارة للانسان على الوجود القرآني الدائم .

وتأملتفي ذات علي (ع) .وادركتان علياً (ع) هوالرجل الذي

كسب صداقة العلماء والمفكرين في الدنيا فاذا ذكر علي (ع) تقدسه رجال المعرفة . واصبح علي (ع) وحياته سجلاً وسيرته كتاب العلماء اخذوا منه الكثير . من آثاره وتراثه وما روي عنه من كلام فيه الارشاد وفيه الوعي . وكم قرأنا لعلي(ع)من آثار. تدل عليه . ونصوص ثقافية خلفها للاجيال القادمة !

فقد لعب (ع) دوراً في نشر الثقافة الاسلامية فكان من دعاة الثقافة والوعي .

فوجدت علياً(ع) في النحوالعربي . وفي البلاغةالعربية . وفي فقه اللغة، وفي الفقه الاسلامي ،والفلسفة الاسلامية . فهو فقيه في الشريعة واليه رجع الفقهاء في الاستدلال ومعرفة الحكم الشرعي . لأن علياً(ع)فقيه اجتهدفي الشريعةوتفلسف فقد وجدناه في العقل المتفلسف الحديث ووجدناه يتردد على لسان فقهاء الشريعة والقانون . . فهوفقيهالفلاسفة وفيلسوفالفقهاءفي الشريعة وهو الذي تفلسف قبل غيره واجتهد في الاحكام الشرعية عن ادلتها قبل غيره ، واخذ الصحابة بما قاله وما اصدره من حكم شرعي .

ووجدت علياً(ع) في العقل السياسي الحديث . ووجدته في العقلية العلمية الواعية فهو مدرسة جامعة اخذ عنها الكثير من

حملة الشريعة ورواة الحديث . وهو الذي وجّـــه الكثير نحو كتاب الله والأخذ به والسير على هداه . فعلي(ع)خليفةالانبياء . في الارض حتى قيـل : « لو كان نبي بعـد محمد (ص) . لكان علي (ع) » فعلي (ع) لغته القرآن . وبيانه ودعوته اليه .

وهو والقرآن في مسيرة واحدة ..

وهو شريك القرآن حقاً في دعوة هذا الانسان الى توحيد الله وعبادته .

وكيف شارك علي(ع)هذاالقرآن؟وبماذا ؟فيوجوب الطاعةوالرجوع اليه . فهو دستور وتشريع . وهو تنفيذ وتطبيق . واداة تحمل هذا الكتاب للاخرين فان القرآن تجب طاعته والأخذ بهوالرجوع اليه . فكذلك الامام . وامام الامة وسيدها بعـد النبوة،تجب اطاعته والأخذ بحكمه لانه خليفة الانبيـاء في الارض . وكان علي(ع) كذلك والقرآن وعليلغاية واحدة وكلاهما ثقل اكبر ووصية الرسول (ص) . فهو امانة مقدسة . وقد عرفنا هذا بذاك فقد عرفنا ابعاد القرآن ووجدنا الكلمات القرآنية وما فيها من اسرار واعجاز . وجدنا ذلك في كلام علي (ع) . وعلي (ع) هو الذي عرّفنا كتاب الله وهدانا اليه فقـــدست القرآن كتاباً . وآمنت بعلي (ع) خليفة وداعياً اليه . وهذا وغيره وجـدناه في

تراث علي (ع) . وفي مدرسة علي (ع) .

وهذا ما استفدناه من كلام ابي حسن (ع) .

فقد قرأنا كلام علي (ع) ووجدنا في كلامه ابعاداً عـديدة ورموزاً ودلالات وخطوطاً ومؤشرات.

١ ـ وجدناه هو الدال على معرفة الخـالق بادلة هو صاغها وأقامها لبيان فلسفة التوحيد عند علي (ع) واذا عرفنا هـــذا الطابع عرفنا العلاقة الفكرية بين علي (ع) وخالقـــه تعـالى وان عليا هو الانسان الموحد العارف بالواحد تعالى عن دليل منطقي معرفة تفصيلية . وان عليا رئيس مدرسة . ورجل تفكير .

٢ ـ ووجدناالبعد الاخلاقي والادبي ونجد بعداً ثالثاً ورابعاً وخامساً في كلام علي (ع) . .

ونجد وراء كلام علي (ع) صورة الانسان العربي والانسان المسلم . وهو يكشف عن افكاره ونظرته للكون والوجود والحياة وهو يكشف عن نفسية الامة التي ولد فيهـا علي (ع) وعاش ونشأبينها ويؤرخ الصراعات الفكرية التي حدثت بعد الرسالة . ومن ذلك ندرك ان في كلام علي(ع) واقواله فلسفة وفيه افكار ودوافع معينة كانت في عصره .

ونجد فيه البعد السادس وهو البعد السياسي (١) فهو امام في السياسة الاسلامية . ومن لم يقـل ذلك فهو بحق لم يعرف عليا (ع) . من هو ؟ وما هو الاسلام وفي كـلام علي الطـابع العلمي . فهو كلام العالم والمفكر وكلام علي(ع) يختلف عن كلام غيره بابعاده.ومن يملك قدرة علمية وذوقاً بلاغياً ووراثة عربية يستطيع بها تفسير كـلام علي (ع) وبذلك عرف كلام علي(ع) وفرّق بين كلامه (ع) وكلام غيره ادركه الشراح والمفسرون (٢) في كلام علي(ع) البطولة العربية. وفي كلامه موسيقى وايقاع عربي .واصوات معينة وصياغة فنية هي له (ع) دون غيره . وهو كلام الانسان الذي يملك البيان العربي بالفطرة . وفيه مسحة ربانية .وصبغة قرآنية فكان كلامه ودليله هو القرآن، لأن القرآن مدرسته . هكذا رأينا كلام علي (ع) يحمل البطولة وما رأينا كلاماً يماثله او يدانيه في تراثنا العربي الذي وصل الينا .

وكان علي(ع) بطلاً عربياً من ابطال هذه الامة وهو الذي برهن على بطولته العربية . لأنه تأثر بالحضارة العربية وعاش المحيط العربي وكان علي (ع) بطلا وقوله بطولة الحق وبطلا في بيانه وبلاغته العربية.

(١) راجع كتابنا الامام علي (ع) والعقلية السياسية .

(٢) راجع كتاب الامام علي(ع) والعقلية العلمية للمؤلف .

نشأة علم البلاغة عند المسلمين

واذا ادركنا ان علم البلاغة هو علم له وجوده واستقلاله . وما ذكره علماء البيان من شواهد انما هي امثلة قرآنية . ادركنا صلة البلاغة العربية بالقرآن وتفسيره ومعرفة اعجازه وان علماء البلاغة عرفوا بلاغة القرآن وفسروا القرآن تفسيراً بلاغياً .

وان علم البلاغة انما هو وسيلة لمعرفة الاعجاز القرآني . وان القرآن معجزة واذا ادركنا صلة الامام علي(ع) بالقرآن وما اخذه من مدرسة القرآن . ادركنا اثر الامام علي (ع) في البلاغة والبيان العربي وما قدمه من كلمات وشواهد بلاغية . وعندها نصل الى نقطة اخرى ان علم البلاغة العربية انما هو من العلوم القرآنية واعجاز القرآن مسألة بلاغية لا يدرك واقعها إلا من اخذ نصيبه من البلاغة العربية .

وبلاغة الامام علي(ع) مسألة اخرى. وهي نتيجة لمدرسة القرآن البيانية . ولا يدرك جمالها وطابعها إلا من احاط بالبلاغة العربية وعرف القرآن لغته وصياغته . وابعاده وهنا نتساءل عن اعجاز القرآن هل هو مسألة دينية اوهي مسألة لغوية لا صلة لها

بالدين ؟ وهنا سؤال ثاني كيف فهم الاوائل اعجاز القرآن ؟

وبقي السؤال الثالث ان ماقدمه علماء البلاغة والبيان من بحوث بلاغية هل كان لها الاثر في تفسير القرآن وبيان ابعاده او هو علم مستقل البلاغة والبيان العربي لا صلة له بتفسير القرآن وبيان آياته ؟!

وللاجابة عن ذلك . . ان العرب عرفوا القرآن معجزة فقدكان الانسان العربي..يفهم ذلك الاعجاز بالفطرة لان القرآن انزل بلغتهم وباساليبهم فادرك البدوي العربي اعجاز القرآن وتذوق آياته ووقف عندها واقبل عليها وآمن بالقرآن وقد ندرك اهمية علم البلاغة من بين العلوم الاخرى لانه يدرك به إعجاز القرآن وقد اخذ البلاغيون من القرآن شواهدهم اكثر من اخذهم الكلام العربي الاصيل . وما قام به علماء التفسير من دراسات فحاولوا دراسة لغة القرآن وصياغة آياته وما تحمله من اسرار بيانية . فقدموا نتائجاً كثيرة كان لها الاثر في دعم وظهور وتطور علم البلاغة العربية واستقلاله فكان علم البلاغة العربية . من العلوم القرانية ويدور حول النص القرآني . وبعدها انفصل علم البلاغة عن علم التفسير ومن مسألة اعجاز القرآن واذا اكثر علماء البلاغة القدماء هم علماء التفسير حيث ارادوا الوصل الى بيان

معرفة الاعجاز القرآني واين ذلك الاعجاز فدرسوا القرآن دراسة بلاغية . وجاءت بعد ذلك دراسات اخرى ونشطت. فالنقد الادبي بدأ به البلاغيون من قبل . فكان الناقد والبليغ والمفسر علماء يبحثون ما ورد عن العرب من كلام بليغ واذا رجعنا الى الدراسات القرآنية وما قام به المفسرون من خدمات في تحليل الآي القرآني . كان لذلك اثره في دفع العلوم اللغوية وتطورها وتعدد مسائلها . ويتساءل اللغويون هل في القرآن نحو مستقل يقال له النحو القرآني ؟!

وهل في القرآن مسائل بلاغية مستقلة كالاسناد . والاستعارة والكناية . والتشبيه والحقيقة . والمجاز . والقصر . والوصل والفصل . والتقديم والتأخير . والحذف . والاطناب والايجاز ؟؟

ويتساءل الفلاسفة والمتكلمون هل في القرآن مسائل فلسفية لها وجودها ؟؟

واذا اردنا الاجابة عن ذلك . رجعنا للقرآن نفسه . وما ورد عن الرسول(ص)من كلام . وما ورد عن علي(ع) فانها خير شواهد على وجود ذلك في المدرسة القرآنية فالنحو والبلاغة والنقد الادبي . انما هو في المدرسة القرآنية . وكلها في ظلال القرآن . فقد وجدنا البلاغة العربية وابوابها في القرآن وفي كلام

علي (ع) . فقد وجدنا التشبية في القرآن كثيراً وفي كلام علي (ع) . واستقل علم البلاغة بما قدمه المفسرون البلاغيون واصبح علماله وجوده ومسائله وفيه ثلاث مدارس . المدرسة الاولى :

وهي المدرسة اللفظية وهي تراعي الالفاظ والتركيب والصياغة والجمال الذي في النص .

والمدرسة الثانية المدرسة المعنوية وهي تراعي المعاني ولا تهتم بالقالب وهي تقترب الى العقليات والامور الفكرية .

وهنا نستطيع ان نقسم علماء البلاغة الى نوعين : قسم درس الجمال اللفظي وما فيه من روعة وقسم درس المعاني ويكونون المدرسة العقلية وهذه المدرسة تقترب الى القضايا المنطقية المجردة وهناك مدرسة ثالثة بيانية : هي المدرسة القرآنية البلاغية بدأت بالمفسرين اولاً . وهي التي تحاول دراسة الآية القرآنية وجمالها ومعرفة اعجازها .

وهناك مدرسة اخرى وجدنا آثارها البلاغية وقرآناها وهي مدرسة الامام علي (ع) في البلاغة والبيان .

وسنلتقي معك في الجزء الثاني ان شاء الله .

مواضيع الجزء الاول

ص	
٣	الاهداء
٤	مقدمة الكتاب
٧	علي والقرآن
٨	وجوه الشبه بين كلام علي والقرآن
٢٠	علي والصحابة
٢١	علي ومدرسة النبوة
٢٩	بلاغة علي وصلتها بالقرآن
٢٣	كلام علي كيف نعرفه ؟
٣٥	ماذا اخذ علي من القرآن؟
٤٠	حركة التفسير والحاجة الى فهم القرآن
٤٢	الطابع العام والاسلوب الخاص في كلام علي
٤٤	المدرسة القرآنية طابعها ومعالمها
٤٨	خصائص المدرسة الواقعية
٥٦	ثقافة الامام علي ومصادرها
٥٧	المصدر الاول لثقافته
٦٠	آثار قرآنية في قول علي
٦٢	بين كلام الله وكلام علي
٦٤	بين ابن ابي الحديد وابن الراوندي
٦٦	كيف حصل لعلي ما لم يحصل لغيره ؟
٧١	آفاق قرآنية انطلق فيها علي

٧٤	[illegible] ب بها علي
٧٨	اسم علي يختلف عن الاسماء
٨١	مدرسة علي وآثارها ونتائجها
٨٢	تلامذة الامام علي
٩٠	خطب الامام علي واختلافها
١٠٤	نشأة الشك في كلام علي
١٠٥	مصادر علم البلاغة العربية
١٠٨	الاعجاز المقصود في الحديث النبوي
١١٠	لماذا صرح الرسول؟
١١٢	ماذا قصده الرسول في علي؟
١١٩	عصر الامام علي
١٢٢	بين كلام علي والاعجاز القرآني
١٢٨	القرآن واثره الفكري والادبي
١٣٨	نهاية هذا المطاف
١٤٢	البلاغة العربية فى مدرسة الامام علي
١٤٤	علي شريك القرآن وبماذا ؟
١٤٥	ابعاد كثيرة في كلام علي
١٤٧	نشأة علم البلاغة عند المسلمين
١٥٠	عدد مدارس علم البلاغة

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٢٧٢ لسنة ٧٧ ٢٠/١/٧٨

آثار المؤلف المخطوطة

١ ـ الامام علي (ع) ومدرسة القرآن الجزء الثاني

٢ ـ دفاع عن القرآن

٣ ـ الامام علي (ع) والعقلية السياسية

٤ ـ شرح ألفية الحجازي

٥ ـ النحو العربي في ظلال التشيع

٦ ـ الامام الحسين والفكر السياسي

٧ ـ ثورة على التاريخ الاسلامي

٨ ـ الامام علي والعقلية العلمية

٩ ـ القرآن والعقلية العربية !! الجزء الثاني

١٠ ـ مستقبل الانسان المسلم

موافقة رقابة المطبوعات تحت رقم ٤٩٨ بتاريخ ٩٧٧/٧/٦

ثمن النسخة ٣٠٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف